تكامل المنهج المعرفي في العلوم الشرعية وأهميته لطلاب علم التفسير

عمرو الشرقاوي

الفهرس

مقدمة

الفصل الأول: طالب العلم بين التفنن والتخصص

تمهيد

المبحث الأول: التفنن

المبحث الثاني: التخصص

الفصل الثاني: أهمية التكامل المعرفي في العلوم الشرعية لطالب علم التفسير

تمهيد، في التكامل المعرفي بين العلوم الشرعية

المبحث الأول: أهمية علم العقيدة لطالب علم التفسير

أمثلة للمعالجات الاعتقادية في كتب التفسير

المبحث الثاني: أهمية علوم الحديث لطالب علم التفسير

المبحث الثالث: أهمية علم الفقه وأصوله لطالب علم التفسير

المبحث الرابع: أهمية علوم اللغة لطالب علم التفسير

علم اللغة

علم النحو

علم الصرف

علم الاشتقاق

علم البلاغة

الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات

ملاحق البحث

(1) علم التفسير وسؤال المنهجية

(2) خطة تأهيل طلاب العلم في الدراسات القرآنية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد:

فإن علم القرآن العظيم: هو أرفع العلوم قدرًا، وأجلها خطرًا، وأعظمها أجرًا، وأشرفها ذكرًا[1]، وإن أحق ما صُرفت إلى علمه العناية، وبلغت في معرفته الغاية، ما كان لله في العلم به رضا، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدى، وإن أجمع ذلك لباغيه، كتاب الله الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مرية فيه، الفائز بجزيل الذخر وسنى الأجر تاليه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد[2].

وإن الثقافة المتكاملة الآخذة بطرف من كل علوم هذا العصر = تجعلك أبصر بالحق، وأفقه بالباطل، وأعرف بالناس، وتزيد عدتك التي تعتد بها، وكثير من أبوابها يزيدك فقهًا بالدين، ويعين على التفكير الإبداعي ونقل الأفكار من حقل إلى حقل، وأقل رتبها شيئًا ما يكون كالنومة لا يعسر إعداد نية لها، وليس الخبر كالمعاينة وقد يعسر على صاحب الوجد أن يصف الصبابة وصفًا يحقق ما في نفسه في نفس سامعه فاطلب = تجد .

وإن المفسر لا بد له من الاطلاع على محفز لاستكمال عدته المعرفية، واقتحام المصاعب، وركوب الصعب والذلول للوصول إلى مبتغاه ومن هنا كان هذا البحث .

وتكمن مشكلة البحث في إبراز ما يحتاج إليه طالب علم التفسير من العلوم على تشعبها، وكثرة مناهجها، ولذا فقد أخرجت من البحث العلوم التي تختص بالقرآن من حيث هو، كالتجويد والقراءات، ورسم المصحف وعد آيه، وعلوم القرآن، وأصول التفسير، ومناهج المفسرين .. إلى غير ذلك إذ هي من خاصة علوم المفسر، وهي صالحة للبحث المفرد .

1() مقدمة تفسير الإمام ابن جزي، (10/1).

2() جامع البيان، للطبري: (7/1).

كذلك فإن طالب علم التفسير المعاصر لا يكفيه أن يطلع على العلوم الشرعية – على كثرة تشعبها – فحسب، بل يلزمه أيضًا أن يطلع على العلوم الإنسانية لا سيما مع استخدامها من قبل أقوام كمدخل للطعن – زعموا – في القرآن وعلومه، لكنها تحتاج كذلك إلى بحث مفرد، ولذا فقد استبعدها الباحث[3].

وعطفًا على ذلك فقد اختار الباحث أن يبحث في أهمية العلوم الشرعية، لضيق الوقت، وقلة الاستقراء اللازم للكتابة في الحاجة للعلوم الإنسانية .

وللبحث أهداف أجملها في نقاط:

1- بيان أهمية العلوم الشرعية وأنها إخوة لعلات .

2- بيان التقاطع الكائن بين تلك العلوم مع علم التفسير .

3- ضرب أمثلة من خلال كتب التفسير على أهمية تلك العلوم .

وقد بحثت ذلك عبر **مقدمة، وفصلين،** في الفصل الأول الذي كسرته إلى مبحثين، تحدثت في المبحث الأول عن مفهوم التفنن، وفي المبحث الثاني عن مفهوم التخصص، وفي الفصل الثاني تحدثت عن أهمية العلوم الشرعية، فتحدثت عن أهمية علم العقيدة، ثم تحدثت عن أهمية علوم الحديث، فعلوم الفقه وأصوله، فالعربية وفنونها، لأخلص إلى خاتمة تحتوي على أهم النتائج والتوصيات .

هذا، ولم يكن ذلك البحث غائبًا عن علمائنا، فقد بحثوه في كتبهم من خلال مبحث ((شروط المفسر وآدابه))[4]، ولذلك قال النووي – رحمه الله – في بيان أهمية جمع الآلات للمفسر: ((ويحرم تفسيره بغير علم، والكلام في معانيه لمن ليس من أهلها، والأحاديث في ذلك كثيرة والاجماع منعقد عليه.

3() وقد ألحقت بالبحث ثلاثة مقالات في التدرج في دراسة علم التفسير، وعلوم القرآن، وأصول التفسير، للفائدة .

4() انظر: البرهان في علوم القرآن: (194/2)، والإتقان في علوم القرآن: (2274/6)، والزيادة والإحسان: (410/7)، وعلوم القرآن بين الإتقان والبرهان: (330 – 342)، وشرح مقدمة ابن جزي: (81)، والمفسر شروطه وآدابه ومصادره (رسالة جامعية) لأحمد قشيري سهيل .

وأما تفسيره للعلماء، فجائز حسنٌ، والاجماع منعقد عليه، فمن كان أهلًا للتفسير، جامعًا للأدوات حتى التي يعرف بها معناه، وغلب على ظنه المراد = فسره إن كان مما يدرك بالاجتهاد كالمعاني والأحكام الجلية والخفية والعموم والخصوص والإعراب وغير ذلك، وإن كان مما لا يدرك بالاجتهاد كالأمور التي طريقها النقل، وتفسير الألفاظ اللغوية = فلا يجوز الكلام فيه إلا بنقل صحيح من جهة المعتمدين من أهله، وأما من كان ليس من أهله لكونه غير جامع لأدواته، فحرام عليه التفسير، لكن له أن ينقل التفسير عن المعتمدين من أهله.))[5].

بل قد وُجد من العلماء تتابع على تأخير التأليف في التفسير حتى استواء العدة المعرفية الخاصة بهم، فبعد أن تحدث الشيخ أبو الحسن الواحدي رحمه الله عن أهمية تعلم العربية لطالب علم التفسير أتبعها بقوله: ((وأظنني لم آل جهدًا في إحكام أصول هذا العلم، على حسب ما يليق بزماننا هذا، ويسعه سنو عمري على قلة أعدادها، فقد وفق الله تعالى وله الحمد، حتى اقتبست كل ما احتجت إليه في هذا الباب من مظانه، وأخذته من معادنه))[6]، ثم حكى طريقه العظيم الذي سلكه لتحصيل العلوم، وهو باعث همة لمن تأمله !

بل لما عاتبه شيخه في الإكثار من الإعداد، ورامه أن يقدم على التفسير فيما حكاه هو قائلًا: ((وكنت قد لازمته سنين، أدخل عليه عند طلوع الشمس، وأخرج لغروبها، أسمع، وأقرأ، وأعلق، وأحفظ، وأبحث، وأذاكر أصحابه ما بين طرفي النهار، وقرأت عليه الكثير من الدواوين، وكتب اللغة، حتى عاتبني شيخي رحمه الله يوما من الأيام وقال: إنك لم تبق ديوانا من الشعر إلا قضيت حقه، أما آن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز؟! يقرؤه على هذا الرجل الذي يأتيه البعداء من أقاصي البلاد، وتتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار، يعني: الأستاذ الإمام (أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي) رحمه الله.

ولعل أول من ذكر عنه تقنين العلوم التي يحتاج إليه المفسر، هو الإمام يحيى بن سلام البصري (ت 200)، يقول يحيى بن سلام (ت 200): ((وَلَا يعرف الْقُرْآن إِلَّا من عرف اثْنَيْنِ خصْلَة: الْمَكِّيّ وَالْمَدَنِي، والناسخ والمنسوخ، والتقديم وَالتَّأْخِير، والمقطوع والموصول، وَالْخَاص وَالْعَام، والإضمار والعربية.))، تفسير ابن أبي زمنين: (144/1) .
وأشهر من اشتهر عنه ذلك من المتأخرين الإمام الراغب الأصفهاني (ت 502) في مقدمة تفسيره: (37/1).

5() التبيان في آداب حملة القرآن: (165).

6() التفسير البسيط: (1/ 417).

فقلت: يا أبت[7] إنما أتدرج بهذا إلى ذلك الذي تريد، وإذا لم أحكم الأدب بجد وتعب، لم أرم في غرض التفسير عن كثب، ثم لم أغبَّ زيارته يومًا من الأيام إلى أن حال بيننا قدر الحمام.))[8].

وتكاد كلمة العلماء تتفق على أهمية علم التفسير، وأنه من أعوص العلوم، ويقصدون بذلك حقيقة كيفية الوصول للمعنى من الآيات، وأنه يحتاج إلى آلات قد لا تتيسر للإنسان إلا بجهد جهيد، ومن ذلك قول الإمام ابن عطية: ((فإني لما رأيت العلوم فنونا، وحديث المعارف شجونا، وسلكت فإذا هي أودية، وفي كل للسلف مقامات حسان وأندية، رأيت أن الوجه لمن تشزن للتحصيل، وعزم على الوصول، أن يأخذ من كل علم طرفا خيارا، ولن يذوق النوم مع ذلك إلا غرارا، ولن يرتقي هذا النجد، ويبلغ هذا المجد، حتى ينضي مطايا الاجتهاد، ويصل التأويب بالإسئاد، ويطعم الصبر ويكتحل بالسهاد، فجريت في هذا المضمار صدر العمر طلقا، وأدمنت حتى تفسخت أينا وتصببت عرقا، إلى أن انتهج بفضل الله عملي، وحزت من ذلك ما قسم لي، ثم رأيت أن من الواجب على من احتبى، وتخير من العلوم واجتبى، أن يعتمد على علم من علوم الشرع، يستنفد فيه غاية الوسع، يجوب آفاقه، ويتتبع أعماقه، ويضبط أصوله، ويحكم فصوله، ويلخص ما هو منه، أو يؤول إليه، ويعنى بدفع الاعتراضات عليه، حتى يكون لأهل ذلك العلم كالحصن المشيد، والذخر العتيد، يستندون فيه إلى أقواله، ويحتذون على مثاله.

فلما أردت أن أختار لنفسي، وأنظر في علم أعد أنواره لظلم رمسي، سبرتها بالتنويع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم فوجدت أمتنها حبالا، وأرسخها جبالا، وأجملها آثارا، وأسطعها أنوارا، علم كتاب الله جلت قدرته، وتقدست أسماؤه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، الذي استقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض، هو العلم الذي جعل للشرع قواما، واستعمل سائر المعارف خداما منه تأخذ مبادئها، وبه تعتبر نواشئها، فما وافقه منها نصع وما خالفه رفض ودفع، فهو عنصرها النمير، وسراجها الوهاج، وقمرها المنير.

وأيقنت أنه أعظم العلوم تقريبا إلى الله تعالى، وتخليصا للنيات، ونهيا عن الباطل، وحضا على الصالحات، إذ ليس من علوم الدنيا فيختل حامله من منازلها صيدا، ويمشي في التلطف لها رويدا.

7() يعني الأبوة الدينية، رحمة الله عليهما !

8() التفسير البسيط: (1/ 419).

ورجوت أن الله تعالى يحرم على النار فكرا عمرته أكثر عمره معانيه، ولسانا مرن على آياته ومثانيه، ونفسا ميزت براعة رصفه ومبانيه، وجالت سومها في ميادينه ومغانيه، فثنيت إليه عنان النظر، وأقطعته جانب الفكر، وجعلته فائدة العمر، وما ونيت- علم الله- إلا عن ضرورة بحسب ما يلم في هذه الدار من شغوب، ويمس من لغوب، أو بحسب تعهد نصيب من سائر المعارف.

فلما سلكت سبله بفضل الله ذللا، وبلغت من اطراد الفهم فيه أملا، رأيت أن نكته وفوائده تغلب قوة الحفظ وتفدح، وتسنح لمن يروم تقييدها في فكره وتبرح، وأنها قد أخذت بحظها من الثقل، فهي تتفصى من الصدر تفصي الإبل من العقل.

قال الله تعالى: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا} [المزمل: 5] .

قال المفسرون: أي علم معانيه والعمل بها...

وأنا وإن كنت من المقصرين فقد ذكرت في هذا الكتاب كثيرا من علم التفسير، وحملت خواطري فيه على التعب الخطير، وعمرت به زمني، واستفرغت فيه مني، إذ كتاب الله تعالى لا يتفسر إلا بتصريف جميع العلوم فيه، وجعلته ثمرة وجودي، ونخبة مجهودي ..))[9].

وهكذا تتابع الأئمة والعلماء على أهمية إعداد طالب علم التفسير لنفسه، وتهيئته لآلاته حتى يستقيم له ما أراد من فهم كلام مولانا الكريم سبحانه وتعالى .

وعلى ذلك، أقول: ما هذا الجهد إلا استمداد مما كتبوه، وإبراز لما حرروه، والله أسأل أن يتقبل هذا الجهد إنه خير مسؤول، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله والحمد لله رب العالمين .

وكتبه وجلًا وحرر خجلًا

أبو عبدالله: عمرو بن صبحي بن علي الشرقاوي

9() المحرر الوجيز: (1/ 33 - 35)، وانظر: مقدمة الزمخشري لكتابه الكشاف .

الفصل الأول: طالب العلم بين التفنن والتخصص

تمهيد:

لا شك أن من التوفيق أن يحدد طالب العلم لنفسه هدفًا يسعى إليه، ويبذل الغالي والرخيص، والنفس والنفيس في سبيل تحصيل تلك الأهداف التي رسمها لنفسه، وإن من المشكلات التي تعوق بعض الناس في هذا العصر ذلك السؤال الذي يصاغ في أيسر صوره بهذا الأسلوب؛ التفنن أم التخصص[10] ؟

وقبل الإجابة عن هذا السؤال أقدم بوصية خَالِد بْن يَحْيَى بْنِ بَرْمَكَ لِابْنِهِ، حيث قال له: «يَا بُنَيَّ، خُذْ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بِحَظٍّ؛ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ جَهِلْتَ وَإِنْ جَهِلْتَ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ عَادَيْتَهُ لَمَّا جَهِلْتَ، وَعَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ تَعَادِيَ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ»[11].

10() انظر للأهمية: نصائح منهجية لطالب علم السنة النبوية: (36 – 65)، والسبل المرضية لطلب العلوم الشرعية: (210 – 226).

11() جامع بيان العلم وفضله: (523/1)، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، ت: أبي الأشبال الزهيري، ط. دار ابن الجوزي . الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1994 م.

المبحث الأول: التفنن

التفنن لفظ مولد غير عربي، مشتق من لفظ الفن، والفن واحد فنون وأفنان، يقال: افتن الرجل في كلامه وخصومته؛ إذا توسع وتصرف[12].

وإطلاق هذا اللفظ في هذا الموطن يراد به التوسع والتصرف والاشتغال بأبواب مختلفة من العلم .

ونحن إذا نظرنا إلى واقع السلف فإننا سنجد أن العلوم كانت في الصدر الأول سليقة ثم لما دونت العلوم، وتشعبت كان العلماء أهل تفنن ونظر في كل تلك العلوم .

وأما التخصص الذي درج عليه بعض الناس، وزعم أن الطالب ليس له إلا أن يتخصص في فرع معين من فروع العلم، وهو لا يدري شيئًا عن غيره فليس من سبيل المتقدمين في شيء وهو أضر ما يكون على العلوم وأهلها .

وخلاصة الأمر؛ أن التفنن الذي أعنيه هنا، هو أن يحصل الطالب من كل علم من العلوم الشرعية (وسائل ومقاصد) ما يعينه على الاجتهاد الجزئي في تلك العلوم، ويؤهله لأن ينظر في أقوال أهل تلك العلوم نظرة الناقد البصير القادر على أن يزن تلك الأقوال ويرجح بينها .

فصفة العلاقة بين المتفنن والعلم كونه ذا معرفة بمسائل العلم وكتبه ومناهج البحث فيه وطرائقه ما يؤهله بالقوة لتحرير مسائله إذا ما أقبل عليها واستفرغ وسعه في طلب الحق فيها.

وهذا المتفنن لا بد له من تصور مسائل العلوم، وما وقع فيها من نزاع ووفاق، وتاريخ العلم، ومراحل تطوره، ومناهج التصنيف فيه، مع إدمان للاتصال بأهل التخصص فيه، وسؤال الله التوفيق في ذلك فإنه خير مسؤول .

وأختم هذه القضية، بإيراد ما ذكره الإمام ابن جماعة، في تذكرته، حيث قال: ((على الطالب أن يحذر في ابتداء أمره من الاشتغال في الاختلاف بين العلماء أو بين الناس مطلقًا في العقليات والسمعيات؛ فإنه

12() الصحاح: (2177/6)، ولسان العرب: (346/6 - 347).

يحيّر الذهن ويدهش العقل، بل يتقن أولًا كتابًا واحدًا في فن واحد، أو كتبًا في فنون إن كان يحتمل ذلك، على طريقة واحدة يرتضيها له شيخه .

فإن كانت طريقة شيخه نقل المذاهب والاختلاف، ولم يكن له رأي واحد؛ قال الغزالي: (فليحذر منه؛ فإن ضرره أكثر من النفع به). وكذلك يحذر في ابتداء طلبه من المطالعات في تفاريق المصنفات؛ فإنه يضيع زمانه، ويفرق ذهنه، بل يعطي الكتاب الذي يقرؤه أو الفن الذي يأخذه كليته حتى يتقنه، وكذلك يحذر من التنقل من كتاب إلى كتاب من غير موجب؛ فإنه علامة الضجر وعدم الإفلاح .

أما إذا تحققت أهليته، وتأكدت معرفته؛ فالأولى أن لا يدع فنًا من العلوم الشرعية؛ إلا نظر فيه، فإن ساعده القدر وطول العمر على التبحر فيه؛ فذاك، وإلا فقد استفاد منه ما يخرج به من عداوة الجهل بذلك العلم، ويعتني من كل علم بالأهم فالأهم، ولا يغفلن عن العمل الذي هو المقصود بالعلم))[13].

13() تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تأليف ابن جماعة الكناني: (171 – 176)، حققه وعلق عليه محمد هاشم الندوي، الطبعة الثانية 1416هـ ، دار رمادي .

المبحث الثاني: التخصص

قد يكون مدعاة للغموض الجمع بين التفنن والتخصص في الحث عليهما معًا، ولكن تلك الريبة تزول إذا عرفت أن التخصص الذي ندعو إليه غير الفصام الذي يدعو إليه آخرون، إن التخصص شيء والفصام شيء آخر، ذلك أن التخصص الذي أعنيه:

أن يفرغ الطالب لعلم معين بعد فراغه من دراسة ما يؤهله من بقية العلوم ليستخرج دقائقه ويحرر مسائله، وما إلى ذلك، مع العناية بالعلوم التي تتصل بالعلم الذي رام التخصص فيه، أما الفصام المشئوم فليس من وكدي الدعوة إليه، ولا الثناء عليه .

فهذا التخصص منهج ضروري لا حياة ولا بقاء للعلوم إلا به.

وقد نبه العلماء قديمًا على أهمية التخصص في العلوم، فقال الخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ): ((إذا أردت أن تكون عالما فاقصد لفن من العلم، وإذا أردت أن تكون أديبًا فخذ من كل شيء أحسنه))[14].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ): ((ما ناظرني رجل قط وكان مفننًا في العلوم إلا غلبته، ولا ناظرني رجل ذو فن واحد إلا غلبني في علمه ذلك)) [15].

إن هذه العبارات وأمثالها من الأئمة الدالة على فضل المتخصص = جاءت لتؤكد أن كل علم من العلوم بحر من البحور، لا يعرفه ويصل إلى كنوزه وخفاياه إلا من غاص أعماقه، وقصر حياته على الغوص فيه، أما من اكتفى بالسباحة على ظهر كل بحر من بحور العلم، فإنه إنما عرف ظواهر تلك البحور، وما عرف من كنوزها شيئًا.

وخاصة أهل عصرنا، فإن العلوم قد ازدادت تشعبًا، وعظم كل علم عما كان، بمؤلفات أهله فيه على امتداد العصور السابقة، وبزيادة اختلافهم وأدلة كل صاحب قول منهم؛ ومع ذلك فقد ضعفت الهمم،

---

(14) جامع بيان العلم، لابن عبد البر: (رقم 850).

(15) جامع بيان العلم، لابن عبد البر: (رقم 852).

ونقصت القدرات عما علمناه من أئمتنا السالفين؛ وذلك بين واضح لمن عرف سيرهم وأخبارهم ووازن بين حالهم وحالنا؛ أولئك كانوا بما تعلموا وعلموا وألفوا وجاهدوا وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر كأن أعمارهم ليست بين الستين والسبعين وإنما بين مائة وستين ومائة وسبعين!! بل والله أكثر!!! أولئك كانت حياتهم كرامة، وجهدهم معجزة خارقة للعادات!!! فأين نحن من أن نحوي علومهم ؟! وأنى لنا أن نستوعب علم ما خلفوه لنا ؟! ومع ذلك فقد تكلم هؤلاء أنفسهم عن فضل التخصص في العلم، فما أجهلنا إن حسبنا أننا بغير التخصص سنفهم علمًا من العلوم!!![16]

والتخصص يجعل الإنسان مبدعًا، منصفًا، وهو من أكثر الناس لقالة (لا أدري)، إذا سئل عن غير تخصصه. ولهذه القالة بركة لا يعرفها إلا قليل، فهي باب التواضع الكبير، وباب للعلم أكبر.

ولكل علم دقائقه التي خبرها أهل التخصص، وقادتهم إلى دقائق الدقائق، فهم فقهاء العلوم حقًا، وأطباء الفنون صدقًا، يقول الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني تلميذ الشافعي (ت 260هـ): (سمعت الشافعي يقول: من تعلم علماً فليدقق، لكيلا يضيع دقيق العلم) [17]، كذا نصائح الأئمة، نور على نور!!.

وهنا أعود لأنبه على أن المطالبة بالتخصص لا يعني أن نطالب بالانفصام التام عن سائر العلوم، وأخص من العلوم مما يقبح بطالب العلم – وطالب التفسير على وجه الخصوص – جهله العلوم الإسلامية جميعًا، كعلم الفقه وأصوله والعقيدة وعلوم الآلة من نحو وصرف وبلاغة وأدب، مما ينبغي على طالب علم التفسير المتخصص أن يحصل لتكميل استفادته لتخصصه وعميق فهمه له؛ حيث إن العلوم الإسلامية بينها ترابط كبير، لا يمكن من أراد التخصص في علم منها أن يكون جاهلًا تمام الجهل بما سواه، بل ربما قادته مسألة دقيقة في علم التفسير – مثلًا – إلى التدقيق في مسألة من مسائل أصول

16() انظر نصائح منهجية، للشريف حاتم: (37 – 39) بتصرف .

(17) الأنساب المتفقة، لابن طاهر المقدسي: (3).

الفقه أو غيره، حتى يخرج بنتيجة في مسألته التفسيرية. وليس ذلك بغريب على من عرف العلوم الإسلامية، وقوة ما بينها من أواصر القربى العلمية[18].

وقد أحببت بهذا الفصل التنبيه على أن العلوم الشرعية إخوة لعلات، ليس بينهن خصام ولا فرقة، والحمد لله الموفق إلى سبيل الرشاد .

18() لمزيد من المطالعة أنصح بشدة بقراءة مقال: ((من لزم بابا من العلم وانقطع له فتح له))، لأبي فهر السلفي بملتقى أهل الحديث: ((http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=73056)).

ونصائح منهجية لطالب علم السنة النبوية، للشريف حاتم العوني، وانظر: تهذيب الكمال للحافظ العلامة أبي الحجاج المزي: (156/1) .

الفصل الثاني: أهمية التكامل المعرفي في العلوم الشرعية لطالب علم التفسير

تمهيد، في التكامل المعرفي بين العلوم الشرعية[19]:

من الظواهر الثقافية التي تستوقف الدارس والباحث والمتابع لمسار التراث العربي الإسلامي في تطوره التاريخي هو ذلك التداخل والتلاحم القائم بين العلوم التي نشأت في هذا التراث، حيث إن العلاقة التداخلية والتكاملية كانت هي السمة البارزة والغالبة على جميع العلوم التي نشأت وتطورت في أحضان الثقافة العربية الإسلامية[20].

وهذا التداخل بين العلوم استوقف كثيرا من الدارسين، وأثار عددا من الباحثين وهو ما جعلهم يبحثون عن الأسباب وينقبون عن الدواعي ويرصدون النتائج = التي كانت من وراء هذا التداخل والتكامل الذي كان حاضرا وقائما بشكل واضح وملفت للانتباه بين عدد من العلوم.

إن فكرة التداخل والتكامل بين العلوم شكلت أحد الأفكار الأساسية والمحاور الكبرى التي لقيت رواجا واسعا ومناقشة مستفيضة بين الدارسين والباحثين المنشغلين بالدراسات التراثية في الآونة الأخيرة، وهو ما أفضى إلى جعل فكرة التداخل موضع عناية ومحور اشتغال واهتمام بين عدد كبير من المشتغلين بالتراث العربي الإسلامي.

ومن أبرز الأسباب التي ساهمت في هذا التداخل:

19() انظر: (تداخل العلوم في التراث العربي الإسلامي: علم أصول الفقه وعلم التفسير)، للدكتور محمد بنعمر، بحث منشور بملتقى أهل التفسير ((http://vb.tafsir.net/tafsir36408/)).

20() يراجع: منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية للدكتور حسن ملكاوي. منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي: "2012".

1. أن العلوم الشرعية لم تكن بمنأى عما تعرفه العلوم الأخرى من إشكالات نظرية وتحولات معرفية وتساؤلات منهجية = خاصة في تبادل الوظائف واستعارة المفاهيم، أو فيما تطرحه هذه العلوم من أسئلة نظرية وإشكالات معرفية ومنهجية = خاصة ما كان من قبيل الأسئلة المؤسسة لبنائها المعرفي وجهازها المفاهيمي . أو ما تعلق كذلك بمرجعيتها المؤسسة لها .

2. مما ساعد على هذا التكامل والتواصل بين هذه العلوم بجميع فروعها وأقسامها أصلية كانت أو خادمة للأصل نقليه كانت أم عقلية هو وحدة الإطار والمرجع الذي يجمع هذه العلوم. إذ التحمت هذه العلوم بمجملها وفي نسق واحد من أجل خدمتها للقران الكريم توثيقًا واستمدادا وبيانا. فقد اتجهت كل العلوم نحو القرءان الكريم بيانا واستنباطا واستمدادا وتفسيرا وتأويلا وتوثيقا وتحقيقا وقراءة[21].

وقد تمخض عن مركزية النص القرآني في الثقافة العربية الإسلامية شبكة متكاملة من العلوم، من فقه وأصول وحديث وسنة وتفسير وقراءات، وغيرها من علوم القرآن، بالإضافة إلى علوم العربية التي تعرف بعلوم الآلة، من نحو وصوت وصرف ومعجم وفقه لغة وبلاغة، ولها حيّز وفصول معلومة في مباحث العلوم الشرعية.

ومما يقتضيه هذا الموقف أن طلب العلوم التراثية معرفيا ومنهجيا يقتضي من طالبها استحضار قبلي لمجموعة من المعارف والعلوم المركبة لهذا التراث لكون هذه العلوم علومًا جامعة ومشتركة في مجموعة من القضايا والمسائل النظرية = خاصة ما كان متعلقًا بالمرجعيات والمفاهيم والمصطلحات التي انتقلت من حقولها المعرفية إلى حقول معرفية أخرى مكتسبة بهذا الانتقال والعبور معان ودلالات جديدة متداخلة في الوظائف ومشتركة في المهام والأدوار والقاسم الذي يجمعها هو خدمتها للنص القرآني توثيقا واستمدادًا وبيانًا وتفسيرا وتأويلًا.

ومما يثير الباحث وهو يستحضر ويتابع أثر هذا التداخل = أن كثيرًا من العلوم نضجت وتطورت في أحضان علوم أخرى خاصة العلوم التي يجمعها وحدة الموضوع وتشترك في وحدة الهدف والغاية. فعلم البلاغة وعلم اللغة وعلم النحو من العلوم التي نضجت ونمت وتطورت في أحضان علم التفسير.

21() يراجع: دراسة الطبري للمعنى من خلال تفسيره جامع البيان. للدكتور محمد المالكي: (ص 21)، وهو من منشورات وزارة الأوقاف المغربية.

وطلبًا للاختصار سنحاول إبراز أهمية العلوم الشرعية لطالب علم التفسير.

المبحث الأول: أهمية علم العقيدة لطالب علم التفسير

علم العقيدة من أشرف العلوم، وهو مهم لطالب علم التفسير من جهات متعددة[22]، ومن ذلك:

أولًا: جهة الفهم الصحيح للقرآن من غير تفريط ولا إفراط، وذلك أن من الخطأ أن يعتقد الإنسان رأيًا ثم يحمل ألفاظ القرآن عليها من غير هدى من طريق السلف رضي الله عنهم[23]، وذلك كتأويل الروافض لآيات نزلت في القرآن لتشهد لاعتقادهم الفاسد، وتأويل المعتزلة لآيات الصفات، وتأويلات الباطنية وغلاة المتصوفة، وغير هؤلاء ممن ينتسب إلى الفرق المختلفة[24] .

يقول الطبري (310 هـ) في قوله تعالى: (({ابتغاء الفتنة} [آل عمران: 7] .

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه إرادة الشبهات واللبس، فمعنى الكلام إذا: فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحق وحيف عنه، فيتبعون من آي الكتاب ما تشابهت ألفاظه، واحتمل صرفه في وجوه التأويلات، باحتماله المعاني المختلفة إرادة اللبس على نفسه وعلى غيره، احتجاجا به على باطله الذي مال إليه قلبه دون الحق الذي أبانه الله فأوضحه بالمحكمات من آي كتابه. وهذه الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشرك، فإنه معني بها كل مبتدع في دين الله بدعة، فمال قلبه إليها، تأويلا منه لبعض متشابه آي القرآن، ثم حاج به وجادل به أهل الحق، وعدل عن الواضح من أدلة أيه المحكمات إرادة منه بذلك اللبس على أهل الحق من المؤمنين، وطلبا لعلم تأويل ما تشابه عليه من ذلك كائنا من كان، وأي أصناف البدعة كان من أهل النصرانية كان أو اليهودية أو المجوسية، أو

22() انظر: مقدمة جامع التفاسير: (94)، والتيسير في قواعد علم التفسير، للكافيجي: (144)، والإتقان: (2275/6) .

وانظر: شرح مقدمة ابن تيمية، د. مساعد الطيار: (181 - 249).

23() انظر: مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية: (85 - 86).

24() ربما ذكر بعض العلماء التنبيه على عقيدة المفسر في كتب مناهج المفسرين، وهو م يؤكد أهمية المعرفة الاعتقادية لطالب علم التفسير .

كان سبئيا، أو حروريا، أو قدريا، أو جهميا، كالذي قال صلى الله عليه وسلم: «فإذا رأيتم الذين يجادلون به فهم الذين عنى الله فاحذروهم»))[25].

وقال ابن القيم (751 هـ): ((ولا تجد مبتدعا في دينه قط إلا وفي قلبه حرج من الآيات التي تخالف بدعته، كما أنك لا تجد ظالما فاجرا إلا وفي صدره حرج من الآيات التي تحول بينه وبين إرادته، فتدبر هذا المعنى ثم ارض لنفسك بما تشاء.))[26].

وكل هؤلاء إنما وقع الخطأ عنده من إحدى جهتين:

1- الاعتقاد الفاسد الذي اعتقدوه، وأرادوا حمل القرآن عليه .

2- أو الهوى - نسأل الله السلامة - الذي دفعهم لنصرة مذهبهم ولو كان باطلًا .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: 728) طرفًا من ذلك في مقدمته في أصول التفسير، ومما ذكره: ((تفسير الرافضة كقولهم: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد: 1] هما أبو بكر وعمر، و {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً} [البقرة: 67] هي عائشة.

وكقول بعضهم {وَالتِّينِ} أبو بكر {وَالزَّيْتُونِ} عمر {وَطُورِ سِينِينَ} عثمان {وَهَـذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ} [التين: 1-3] علي، وأمثال هذه الخرافات التي تتضمن تارة تفسير اللفظ بما لا يدل عليه بحال))[27].

وقال الزمخشري (538هـ): ((ومن بدع تأويلات الرافضة: أن المراد بالنحل عليّ وقومه: وعن بعضهم أنه قال عند المهدى:

إنما النحل بنو هاشم، يخرج من بطونهم العلم، فقال له رجل: جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدى وحدث به المنصور، فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم.))[28].

25() جامع البيان: (5/ 213 - 214)، ط. التركي .

26() الفوائد: (82)، العلمية .

27() السابق: (87)، وانظر لمزيد من التأويلات الباطلة: التفسير والمفسرون، للذهبي: (2/5 - 210)، واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، للرومي: (1/183 - 279) .

28() الكشاف: (2/ 619).

ثانيًا: والجهة الأخرى لأهمية تعلم علم العقيدة، أن العلماء من سائر الطوائف صنفوا في علم التفسير، وتعلقوا به، ووقع في بعض كلامهم خلط للحق بالباطل، فمتى كان الطالب لعلم التفسير على خُبْر بتلك العقائد سلم من الزلل بتوفيق الله تعالى .

قال الإمام ابن جزي (ت: 741): ((وأما أصول الدين: فيتعلق بالقرآن من طرفين:

أحدهما: ما ورد في القرآن من إثبات العقائد وإقامة البراهين عليها، والرد على أصناف الكفار.

والآخر: أن الطوائف المختلفة من المسلمين تعلقوا بالقرآن، وكل طائفة منهم تحتج لمذهبها بالقرآن، وترد على من خالفها وتزعم أنه خالف القرآن، ولا شك أن منهم المحق والمبطل.

فمعرفة تفسير القرآن توصل في ذلك إلى التحقيق، مع التسديد والتأييد من الله والتوفيق.))[29].

فلا بد من ضبط الاعتقاد لينضبط التفسير، والآيات المرتبطة بالاعتقاد كثيرة، ومن أسباب الخلل في فهم معانيها عند بعض المفسرين = الاعتقاد الذي اعتقدوه .

وأما كيفية معرفة فساد أقوال هؤلاء فقد ذكر شيخ الإسلام طريقة ذلك، ورتبها على الآتي[30]:

1- معرفة القول الصواب الذي خالفه هؤلاء المبتدعة.

2- أن يتيقن أن قول السلف هو الحقُّ، وأن تفسير السلف يخالف تفسير المبتدعة.

3- أن يعرف أن تفسير المبتدعة مُحدثٌ مبتدع.

4- أن يعرف بالأدلة التي نصبها الله للحق فساد قولهم.

ويمكن أن يزاد عليه: معرفة الرأي المبتدع على وجهه وحقيقته، إذ كثيرٌ ممن يقرؤون التفسير لا يُحسنون معرفة المذاهب المخالفة، فيفوت عليهم شيء من أقوال المبتدعة، وتدخل عليهم وهم لا يشعرون.

29() شرح مقدمة ابن جزي، مساعد الطيار: (131)، وانظر: البحر المحيط: (108/1).

30() شرح مقدمة ابن تيمية: (248 - 249) بتصرف .

وقد رأيت بعض من يحقق تفسيرًا من التفاسير المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة لا يعرف سوى المخالفة في بعض صفات الذات الإلهية؛ كصفة اليد أو الوجه، أو بعض صفات الفعل؛ كالغضب والرحمة، ولا تراه يتعدى ذلك إلى موضوعات العقيدة المختلفة كالقول في كلام الله، والقول في الإيمان، والقول في القدر، وغيرها من مسائل العقيدة.

وأخيرًا، فإنه يحسن بمن يريد أن يقرأ التفسير من كتبه المتعددة أن يكون عارفًا بالقول الصواب الذي عليه السلف، مُلِمًّا بأقوال هذه الفرق لكيلا يقع في أقوالهم وهو لا يشعر بذلك.

ومن أمثلة المعالجات الاعتقادية في كتب التفسير:

- يقول الإمام الطبري رحمه الله: ((وأما تأويل قوله: {وما هم بمؤمنين} [البقرة: 8] ونفيه عنهم جل ذكره اسم الإيمان، وقد أخبر عنهم أنهم قد قالوا بألسنتهم آمنا بالله وباليوم الآخر؛ فإن ذلك من الله جل وعز تكذيب لهم فيما أخبروا عن اعتقادهم من الإيمان والإقرار بالبعث، وإعلام منه نبيه صلى الله عليه وسلم أن الذي يبدونه له بأفواههم خلاف ما في ضمائر قلوبهم، وضد ما في عزائم نفوسهم. وفي هذه الآية دلالة واضحة على بطول ما زعمته الجهمية من أن الإيمان هو التصديق بالقول دون سائر المعاني غيره. وقد أخبر الله جل ثناؤه عن الذين ذكرهم في كتابه من أهل النفاق أنهم قالوا بألسنتهم: {آمنا بالله وباليوم الآخر} [البقرة: 8] ثم نفى عنهم أن يكونوا مؤمنين، إذ كان اعتقادهم غير مصدق قيلهم ذلك. وقوله: {وما هم بمؤمنين} [البقرة: 8] يعني بمصدقين فيما يزعمون أنهم به مصدقون.))[31].

- ولما تحدث الإمام الطبري عن الميزان، ورجح مذهب أهل السنة، ثم قال: ((وفي عدم البرهان على صحة دعواه من هذين الوجهين وضوح فساد قوله وصحة ما قاله أهل الحق في ذلك. وليس هذا الموضع من مواضع الإكثار في هذا المعنى على من أنكر الميزان الذي وصفنا صفته، إذ كان قصدنا في هذا

31() جامع البيان: (1/ 279).

الكتاب البيان عن تأويل القرآن دون غيره، ولولا ذلك لقرنا إلى ما ذكرنا نظائره، وفي الذي ذكرنا من ذلك كفاية لمن وفق لفهمه إن شاء الله))[32].

– وفي قول الله تعالى: {ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم} [لقمان: 31].

يقول الإمام ابن عطية: ((قال الفقيه الإمام القاضي: والغرض منها الإعلام بكثرة كلمات الله تعالى وهي في نفسها غير متناهية وإنما قرب الأمر على أفهام البشر بما يتناهى، لأنه غاية ما يعهده البشر من الكثرة، وأيضا فإن الآية إنما تضمنت أن كلمات الله لم تكن لتنفد، وليس تقتضي الآية أنها تنفد بأكثر من هذه «الأقلام» والبحور، قال أبو علي: المراد ب «الكلمات» والله أعلم ما في المقدور دون ما أخرج منه إلى الوجود، وذهبت فرقة إلى أن «الكلمات» هنا إشارة إلى المعلومات.

قال الفقيه الإمام القاضي: **وهذا قول ينحو إلى الاعتزال من حيث يرون في الكلام أنه مخلوق**، وهذه الآية بحر نظر، نور الله تعالى قلوبنا بهداه.)).

وكان الأئمة ينبهون على خطأ المفسر بسبب اعتقاده، ومن ذلك:

– قول الإمام أبي حيان (745هـ) بعد نقله لبعض أقوال الزمخشري: ((انتهى كلام الزمخشري. وهو جار على مذهبه الاعتزالي، والذي عليه سلف هذه الأمة: أن من كان مؤمنا وفسق بمعصية دون الكفر، فإنه فاسق بفسقه مؤمن بإيمانه، وأنه لم يخرج بفسقه عن الإيمان، ولا بلغ حد الكفر. وذهبت الخوارج إلى أن من عصى وأذنب ذنبا فقد كفر بعد إيمانه. ومنهم من قال: من أذنب بعد الإيمان فقد أشرك. ومنهم من قال: كل معصية نفاق، وإن حكم القاضي بعد التصديق أنه منافق. وذهبت المعتزلة إلى ما ذكره الزمخشري، وذكر أن لأصل هذه المسألة سموا معتزلة، فإنهم اعتزلوا قول الأمة فيها، فإن الأمة كانوا على قولين، فأحدثوا قولا ثالثا فسموا معتزلة لذلك، وهذه المسألة مقررة في أصول الدين.))[33]، ومن عباراته: ((وفيه دسيسة الاعتزال.))[34].

32() جامع البيان: (10/ 71).

33() البحر المحيط: (1/ 204)، دار الفكر .

34() البحر: (1/ 599)، (2/ 2/ 658)، (3/ 345)، (4/ 229).

- وقال الإمام ابن كثير (774هـ): ((﴿لا تدركه الأبصار﴾ .... وقال آخرون، من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من الآية: إنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة. فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك، مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله.

أما الكتاب، فقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: 22، 23] ، وقال تعالى عن الكافرين: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ [المطففين: 15] .

قال الإمام الشافعي: فدل هذا على أن المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالى.))[35].

وقال: ((﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ احتج بهذه الآية من ذهب إلى رأي المعتزلة، ممن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام؛ لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين. وهذا الاستدلال ضعيف؛ لأن هؤلاء كانوا قوما مؤمنين، وعندنا أن كل مؤمن مسلم لا ينعكس، فاتفق الاسمان هاهنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال.))[36].

وفي ختام هذه الخلاصة، أختم بقول أبي حيان في البحر: ((وربما ألممت بشيء من كلام الصوفية مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ، وتجنبت كثيرا من أقاويلهم ومعانيهم التي يحملونها الألفاظ، وتركت أقوال الملحدين الباطنية المخرجين الألفاظ القريبة عن مدلولاتها في اللغة إلى هذيان افتروه على الله تعالى وعلى علي كرم الله وجهه وعلى ذريته، ويسمونه علم التأويل. وقد وقفت على تفسير لبعض رؤوسهم، وهو تفسير عجيب يذكر فيه أقاويل السلف مزدريا عليهم وذاكرا أنه ما جهل مقالاتهم، ثم يفسر هو الآية على شيء لا يكاد يخطر في ذهن عاقل، ويزعم أن ذلك هو المراد من هذه الآية وهذه الطائفة لا يلتفت إليها، وقد رد أئمة المسلمين عليهم أقاويلهم وذلك مقرر في علم أصول الدين.

نسأل الله السلامة في عقولنا وأدياننا وأبداننا.))[37].

35() تفسير ابن كثير: (3/ 309).
36() تفسير ابن كثير: (7/ 422).
37() البحر المحيط: (1/ 13).

المبحث الثاني: أهمية علوم الحديث لطالب علم التفسير

أهمية السنة لطالب علم التفسير متشعبة، ولذا سأجمل بعض النقاط في هذا الموضوع الطويل[38]:

1- كتب الحديث أحد أهم مصادر المفسر، فلا يستغني المفسر عن الاطلاع على كتب السنة لاستخراج ما يقف عليه من التفسير النبوي، أو عموم التفسير بالسنة، وكذلك تفسير السلف رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين، وأتباعهم .

يقول الإمام الطبري (310): ((أحق المفسرين بإصابة الحق في تأويل القرآن الذي إلى علم تأويله للعباد سبيل، أوضحهم حجة فيما تأول وفسر، مما كان تأويله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، دون سائر أمته، من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم، الثابتة عنه، إما من وجه النقل المستفيض، فيما وجد فيه من ذلك عنه النقل المستفيض، وإما من وجه نقل العدول الأثبات، فيما لم يكن فيه عنه النقل المستفيض، أو من وجه الدلالة المنصوبة على صحته.))[39].

قال شيخ الإسلام (ت: 728): ((ن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن .. فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن .. والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة .. وحينئذ، إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم .. إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين.))[40].

38() انظر: مقدمة جامع التفاسير: (95)، والبحر المحيط: (107/1)، والتيسير للكافيجي: (146)، والإتقان: (2274/6 - 2278).

39() جامع البيان: (1/ 88).

40() مقدمة في أصول التفسير: (93 - 95).

وهذا معروف مشاهد في كتب التفسير التي اعتنت بآثار السلف، ومن أجلها كتاب جامع البيان، للإمام الطبري رحمه الله، وتفسير الإمام ابن أبي حاتم، وغيرهما .

2- دخول التفسير كأحد الكتب الرئيسة في مرحلة من مراحل علم التفسير، وذلك تحديدًا في (فترة نهاية القرن الثالث)، فنلاحظ أن علم التفسير دخل على أنه باب من أبواب الكتب الحديثية، فمثلا: نجد سنن سعيد بن منصور فيها كتاب التفسير, وصحيح البخاري فيه كتاب التفسير, وسنن الترمذي فيها كتاب التفسير، وكسنن النسائي وغير ذلك من كتب السنة .

قال الإمام ابن جزي (ت: 741): ((وأما الحديث: فيحتاج المفسر إلى روايته وحفظه لوجهين:

الأول: أن كثيرا من آيات القرآن نزلت في قوم مخصوصين ونزلت بأسباب قضايا وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من الغزوات والنوازل والسؤالات، فلا بد من معرفة ذلك ليعلم فيمن نزلت الآية، وفيما نزلت، ومتى نزلت، فإن الناسخ مبني على معرفة تاريخ النوازل لأن المتأخر ناسخ للمتقدم.

والوجه الآخر: أنه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم كثير من تفسير القرآن، فتجب معرفته؛ لأن قوله عليه السلام مقدم على أقوال الناس.))[41].

3- أما علم مصطلح الحديث فإنه مفيد للمفسر في أمور:

أولاهما: تمييز الصحيح من الضعيف عند إرادة تحرير إسناد من الأسانيد.

قال الإمام ابن عطية (ت: 542): في قوله: {وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ} [الذاريات: (41)] ((وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: كانت نكباء. وهذا عندي لا يصح عن علي رضي الله عنه لأنه مردود بقوله صلى الله عليه وسلم: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور»))[42].

41() شرح مقدمة ابن جزي الكلبي: (111).

42() المحرر الوجيز: (180/5)، وانظر: البحر المحيط: (140/8 - 141)، وانظر لمزيد من الأمثلة: اختلاف السلف: (253).

وقال: ((وذهب الطبري إلى أن الضمير في وليه عائد على الحق، وأسند في ذلك عن الربيع وعن ابن عباس.

قال القاضي أبو محمد: وهذا عندي شيء لا يصح عن ابن عباس))[43].

بل قد يتوقف ترجيح معنى من المعاني على صحة الحديث وضعفه، ومن ذلك:

قول الإمام أبي جعفر الطبري في قول الله تعالى: {ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم} [البقرة: 128] .

((والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله عز وجل أخبر عباده أنه اختبر إبراهيم خليله بكلمات أوحاهن إليه، وأمره أن يعمل بهن وأتمهن، كما أخبر الله جل ثناؤه عنه أنه فعل. وجائز أن تكون تلك الكلمات جميع ما ذكره من ذكرنا قوله في تأويل الكلمات، وجائز أن تكون بعضه؛ لأن إبراهيم صلوات الله عليه قد كان امتحن فيما بلغنا بكل ذلك، فعمل به وقام فيه بطاعة الله وأمره الواجب عليه فيه. **وإذ كان ذلك كذلك، فغير جائز لأحد أن يقول: عنى الله بالكلمات التي ابتلي بهن إبراهيم شيئا من ذلك بعينه دون شيء، ولا عنى به كل ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أو إجماع من الحجة؛ ولم يصح فيه شيء من ذلك خبر عن الرسول بنقل الواحد، ولا بنقل الجماعة التي يجب التسليم لما نقلته.** غير أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في نظير معنى ذلك **خبران لو ثبتا، أو أحدهما، كان القول به في تأويل ذلك هو الصواب** .)).

ثم ذكر القولين، ثم قال: ((غير أنهما خبران في أسانيدهما نظر.))[44].

43() المحرر الوجيز: (1/ 380)، ط. العلمية .

44() جامع البيان: (2/ 506 - 508).

وقال ابن كثير: ((ثم شرع ابن جرير يضعف هذين الحديثين، وهو كما قال؛ فإنه لا تجوز روايتهما إلا ببيان ضعفهما، وضعفهما من وجوه عديدة، فإن كلا من السندين مشتمل على غير واحد من الضعفاء، مع ما في متن الحديث مما يدل على ضعفه والله أعلم.))[45].

ونقل ابن جرير الطبري عن بعض أهل التفسير عدم قبولهم لخبر، وعللوا ذلك بضعفهما: ((قالوا: وأما خبر أبي شريح وابن عباس فخبران لا تثبت بهما حجة لما في أسانيدهما من الأسباب التي لا يجب التسليم فيها من أجلها.))[46].

ثانيًا: التعامل مع كتب التفسير المسندة، كتفسير الطبري، وابن أبي حاتم، والدر المنثور .

فقد يحتاج إلى النظر في صحة الإسناد، إذا نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أو كان التفسير متعلقًا بالحلال والحرام، أو إثبات قراءة صحابي يترتب عليها معنى من المعاني[47] .

ثالثًا: أن التفسير النبوي لا بد من التثبّت من صحة نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم[48]، بدراسة إسناده وتخريجه والنظر في أحكام أهل العلم فيه (إن وُجدت), ولا يجوز أن يُعتَمَدَ عليه اعتمادَنا على النصِّ النبوي؛ إلا بعد التثبّت من كونه نبويًّا حقًّا . ويُمكن الاكتفاء بأحكام أهل الاختصاص, لمن لم يكن منهم, ولا بُدّ من الترجيح بين أقوالهم إذا ما اختلفوا, أو تقليدِ أولاهم بالتقليد, لمن لم يعرف دليلَ الترجيحِ بين أقوالِهم ووَجْهَه[49] = وكل ذلك لا بد له من إحاطة طالب علم التفسير بطرف من علم المصطلح[50] .

رابعًا: أن من كتب التفسير ما ينقل الصحيح والضعيف بغير تمييز، بل يوجد في بعضها موضوعات لا يحل الاعتماد عليها، فيلزم طالب علم التفسير أن يتبين ذلك كله .

45() تفسير ابن كثير: (1/ 409).

46() جامع البيان: (2/ 541).

47() انظر: اختلاف السلف في التفسير: (260 - 261).

48() انظر: تفسير الطبري: (1/527 - 528)، وتفسير ابن كثير: (1/167)، واختلاف السلف في التفسير: (244).

49() انظر: تكوين ملكة التفسير: (99 - 100).

50() انظر: تفسير الطبري، ت: شاكر: (1/348) حاشية .

يقول زين الدين العراقي (806هـ): ((ولو نظر أحدهم في بعض التفاسير المصنفة لا يحل له النقل منها، لأن كتب التفاسير فيها الأقوال المنكرة والصحيحة، ومن لا يميز صحيحها من منكرها لا يحل له الاعتماد على الكتب.))[51].

خامسًا: يحتاج المفسر إلى تحرير الأسانيد فيما لا يقال مثله بالرأي، إذ لو صح لكان له حكم الرفع، ومنه أسباب النزول[52] .

قال ابن عطية: ((وروي في أمر يأجوج ومأجوج أن أرزاقهم هي من التنين يمطرونها، ونحو هذا مما لم يصح، وروي أيضا أن الذكر منهم لا يموت حتى يولد له ألف، والأنثى لا تموت حتى تخرج من بطنها ألف، فهم لذلك إذا بلغوا العدد ماتوا، ويروى أنهم يتناكحون في الطرق كالبهائم، وأخبارهم تضيق بها الصحف، فاختصرتها لضعف صحتها.))[53].

سادسًا: حاجة المفسر لمعرفة رجال التفسير، ليعرف من يحل النقل عنه ومن لا يحل، وذلك فرع عن علم الحديث، وهو: علم الجرح والتعديل .

ولذلك لم يعتمد الطبري – رحمه الله – على رواية الكلبي بل ردها، قال: ((فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: فَهَلْ لَكَ مِنْ عِلْمٍ بِالْأَلْسُنِ السَّبْعَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ، وَأَيُّ الْأَلْسُنِ هِيَ مِنْ أَلْسُنِ الْعَرَبِ؟ قُلْنَا: أَمَّا الْأَلْسُنُ السِّتَّةُ الَّتِي قَدْ نَزَلَتِ الْقِرَاءَةُ بِهَا، فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى مَعْرِفَتِهَا، لِأَنَّا لَوْ عَرَفْنَاهَا، لَمْ نَقْرَأِ الْيَوْمَ بِهَا، مَعَ الْأَسْبَابِ الَّتِي قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ خَمْسَةً مِنْهَا لَعَجْزِ هَوَازِنَ، وَاثْنَيْنِ مِنْهَا لِقُرَيْشٍ وَخُزَاعَةَ. وَرُوِيَ جَمِيعُ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَلَيْسَتِ الرِّوَايَةُ عَنْهُ مِنْ رِوَايَةِ مَنْ يَجُوزُ الِاحْتِجَاجُ بِنَقْلِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِيَ رَوَى عَنْهُ أَنَّ خَمْسَةً مِنْهَا مِنْ لِسَانِ الْعَجْزِ مِنْ هَوَازِنَ: الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ، وَأَنَّ الَّذِي رَوَى عَنْهُ أَنَّ اللِّسَانَيْنِ الْآخَرَيْنِ لِسَانُ قُرَيْشٍ وَخُزَاعَةَ: قَتَادَةُ، وَقَتَادَةُ لَمْ يَلْقَهُ وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ))[54].

51() تحذير الخواص، للسيوطي: (179).

52() انظر: اختلاف السلف: (249).

53() المحرر الوجيز: (3/ 542).

54() تفسير الطبري: (61/1)، ط. هجر، وانظر في طبعة شاكر: (34/1، 88، 93).

وقال البيهقي: ((.... وأما النوع الثاني من الأخبار، فهي أحاديث اتفق أهل العلم بالحديث على ضعف مخرجها.

وهذا النوع على ضربين:

(ضرب) رواه من كان معروفا بوضع الحديث والكذب فيه.

فهذا الضرب لا يكون مستعملا في شيء من أمور الدين إلا على وجه التّليين.))[55].

فتحصل لهذه الأوجه وغيرها، أن المفسر بحاجة لتعلم الحديث أصولًا وآلات ليتم له الاستدلال الجيد، والفهم الحسن، والتحرير لأقوال المفسرين .

55() دلائل النبوة: (1/ 33) .

المبحث الثالث: أهمية علم الفقه وأصوله لطالب علم التفسير

معرفة الفقه مما يحتاجه المفسر من العلوم، وذلك[56]:

1- لاشتمال القرآن على آيات الأحكام، وقد أفردها بعض العلماء بالتصنيف، يقول الإمام ابن جزي (ت: 741): ((وأما أحكام القرآن: فهي ما ورد فيه من الأوامر والنواهي والمسائل الفقهية وقال بعض العلماء: إن آيات الأحكام خمسمائة آية، وقد تنتهي إلى أكثر من ذلك إذا استقصى تتبعها في مواضعها.

وقد صنف الناس في أحكام القرآن تصانيف كثيرة، ومن أحسن تصانيف المشارقة فيها: تأليف إسماعيل القاضي (ت: 202)، وأبي الحسن الكيا (ت: 504)، ومن أحسن تصانيف أهل الأندلس تأليف القاضي الإمام أبي بكر بن العربي (ت: 543)، والقاضي الحافظ أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس (ت: 567) .))[57].

والمقصود أن فهم أحكام القرآن من علم التفسير، وأما ما عدا ذلك من الاستنباطات، وفروع المسائل الفقهية، فإنما يستفيد المفسر من معرفته بالفقه فهم الكتب الذي ألفت على ذلك المنهج، ككتب أحكام القرآن، والتفاسير التي نحت المنحى الفقهي .

2- أن المعلومات التي تدخل في كتب التفسير لا تتعلق بالمعنى فقط بل متعلقة بالمعنى وكذلك الاستنباطات، وهي ضرب من ضروب الفقه، ومن تلك المعلومات التي يصح التمثيل لها هنا، أن أقل مدة الحامل ستة أشهر[58]، فقَدِ اسْتَدَلَّ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِهَذِهِ الْآيَةِ مَعَ الَّتِي فِي لُقْمَانَ: {وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ} [لُقْمَانَ: 14]، وَقَوْلُهُ: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ}

56() مقدمة جامع التفاسير: (95)، والتيسير للكافيجي: (147).

57() شرح مقدمة ابن جزي: (105).

58() انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (3293/10) ح (18566)، وتفسير القرطبي: (262/5).

[الْبَقَرَةِ: 233]، عَلَى أَنَّ أَقَلَّ مُدَّةِ الْحَمْلِ سِتَّةُ أَشْهُرٍ، وَهُوَ اسْتِنْبَاطٌ قَوِيٌّ صَحِيحٌ. وَوَافَقَهُ عَلَيْهِ عُثْمَانُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[59].

3- أما علم أصول الفقه، ((فإنه من أدوات تفسير القرآن، وإنه لنعم العون على فهم المعاني وترجيح الأقوال، وما أحوج المفسر إلى معرفة: النص، والظاهر، والمجمل، والمبين، والعام، والخاص، والمطلق، والمقيد، وفحوى الخطاب، ولحن الخطاب، ودليل الخطاب، وشروط النسخ[60]، ووجوه التعارض، وأسباب الخلاف، وغير ذلك من علم الأصول.))[61].

وذكر ابن عاشور علاقة علم الأصول بالتفسير فقال: ((وأما أصول الفقه فلم يكونوا يعدونه من مادة التفسير، ولكنهم يذكرون أحكام الأوامر والنواهي والعموم وهي من أصول الفقه.

فتحصل أن بعضه يكون مادة للتفسير وذلك من جهتين:

إحداهما: أن علم الأصول قد أودعت فيه مسائل كثيرة هي من طرق استعمال كلام العرب وفهم موارد اللغة أهمل التنبيه عليها علماء العربية مثل مسائل الفحوى ومفهوم المخالفة، وقد عد الغزالي علم الأصول من جملة العلوم التي تتعلق بالقرآن وبأحكامه = فلا جرم أن يكون مادة للتفسير.

الجهة الثانية: أن علم الأصول يضبط قواعد الاستنباط ويفصح عنها فهو آلة للمفسر في استنباط المعاني الشرعية من آياتها.))[62].

وهذا يبين لنا أهمية المعالجة الأصولية في كتب التفسير، ولذلك فقد استخدمها الطبري (ت: 310) رحمه الله، ومن هذا إحالته على كتابه في أصول الفقه[63]، كقوله: ((وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ مَنْ قَصُرَتْ مَعْرِفَتُهُ عَنْ تَوْجِيهِ الْكَلَامِ وِجْهَتَهُ أَنَّ قَوْلَهُ: {كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ} [البقرة: 116] خَاصَّةٌ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ وَلَيْسَتْ بِعَامَّةٍ.

59() ابن كثير: (280/7).

60() لا بد من الانتباه إلى الفرق بين مصطلح النسخ عند الصحابة والتابعين، والنسخ في اصطلاح المتأخرين .

61() شرح مقدمة ابن جزي: (134).

62() التحرير والتنوير: (25/1 - 26) .

63() واسمه: «كِتَاب الْبَيَانِ عَنْ أُصُولِ الْأَحْكَامِ»، وهو مفقود .

وَغَيْرُ جَائِزٍ ادِّعَاءُ خُصُوصٍ فِي آيَةٍ عَامٌّ ظَاهِرُهَا إِلَّا بِحَجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا لِمَا قَدْ بَيَّنَّا فِي كِتَابِنَا: «كِتَابِ الْبَيَانِ عَنْ أُصُولِ الْأَحْكَامِ»))[64].

4- وأنبه هنا إلى أهمية الانتباه أن التحرير الأصولي أسبق من التحرير في علوم القرآن، فلا بد أن ينتبه المفسر إلى مثل هذا .

فلعلوم القرآن تميز عن الطرح الموجود في كتب أصول الفقه[65] .

64() جامع البيان: (463/2)، وانظر: (100/2)، (457/2)، (100/4)، (445/8)، (269/11).

65() انظر: مقالات في أصول التفسير، وعلوم القرآن، د. مساعد الطيار: (23).

المبحث الرابع: أهمية علوم اللغة لطالب علم التفسير[66]

لا يحتاج المرء لإطالة الكلام عن أهمية علوم العربية لطالب علم التفسير، فإن هذا الكتاب الكريم نزل بلسان عربي مبين، المقصود هنا أن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة، لأن الله تعالى يقول: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} [يُوسُفَ: 2] .

بل كيف يتأتى لمن جهل لسان العرب أن يعرف تفسير كتاب الله، ولذلك فقد نبه الطبري رحمه الله (ت: 310) على ذلك فقال: ((وَإِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ مِنَ الْقِيلِ فِي ذَلِكَ، الْإِبَانَةُ عَنِ الْأَسْبَابِ الَّتِي الْبِدَايَةُ بِهَا أَوْلَى، وَتَقْدِيمُهَا قَبْلَ مَا عَدَاهَا أَحْرَى، وَذَلِكَ الْبَيَانُ عَمَّا فِي آيِ الْقُرْآنِ مِنَ الْمَعَانِي، الَّتِي مِنْ قِبَلِهَا يَدْخُلُ اللَّبْسُ عَلَى مَنْ لَمْ يُعَانِ رِيَاضَةَ الْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلَمْ تَسْتَحْكِمْ مَعْرِفَتُهُ بِتَصَارِيفِ وُجُوهِ مَنْطِقِ الْأَلْسُنِ السَّلِيقِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ.))[67].

وينبغي على طالب علم التفسير أن يهتم اهتمامًا بالغًا بالعربية، وفقه اللسان الأول، قال الإمام أبو الحسن الواحدي (468هـ): ((وقد أعفى أهل زماننا أنفسهم عن كد التعب في طلب الأدب، فقد هوت دولته إلى الحضيض، وصار يرنو بالطرف الغضيض، وها هو قد خوى نجمه وصَوَّح نبته، وذوى عوده، وخرَّ عموده.

وإذا ضاع الأدب ضاع ما يحتاج في تفسيره إليه، ويعول في معرفته عليه، وهو علم القرآن العربي، المنزل بلسان العرب ولغتهم، المنظوم بألفاظهم في مخاطبتهم.

والله تعالى ذكره أنزل كتابه على قوم عرب أولي بيان فاضل، وفهم بارع.

أنزله جل ذكره بلسانهم، وصيغة كلامهم الذي نشؤوا عليه، وجبلوا على النطق به فتدربوا به، يعرفون وجوه خطابه ويفهمون فنون نظامه، ولا يحتاجون إلى تعلم مشكله وغريب ألفاظه حاجة المولدين الناشئين مع من لا يعلم لسان العرب حتى يعلمه، ولا يفهم ضروبه وأمثاله وأساسه وطرقه حتى يفهمها.

66() انظر للأهمية رسالة، التفسير اللغوي للشيخ د. مساعد الطيار (رسالة جامعية) من إصدارات دار ابن الجوزي.

67() جامع البيان: (8/1)، وانظر: تفسير القرطبي: (21/1) .

وبين النبي – صلى الله عليه وسلم – للمخاطبين من أصحابه رضي الله عنهم – ما عسى بهم الحاجة إليه من معرفة بيان مجمل الكتاب وغامضه ومتشابهه وجميع وجوهه، التي لا غنى بهم وبالأمة عنه. فاستغنوا بذلك عما نحن إليه اليوم محتاجون من معرفة لغات العرب واختلافها والتبحر فيها، والاجتهاد في تعلم وجوه العربية الصحيحة التي بها نزل الكتاب وورد البيان.

فعلينا أن نجتهد في تعلم ما يتوصل بتعلمه إلى معرفة ضروب خطاب الكتاب، ثم السنن المبينة لمجمل التنزيل، الموضحة للتأويل؛ لتنتفي عنا الشبه التي دخلت على كثير من رؤساء أهل الزيغ والإلحاد، ثم على رؤوس ذوي الأهواء والبدع، الذين تأولوا بآرائهم المدخولة فأخطؤوا، وتكلموا في كتاب الله عز وجل بلكنتهم العجمية دون معرفة ثاقبة، فضلوا وأضلوا، نعوذ بالله من الخذلان، وإياه نسأل التوفيق والصواب.

إلى أن قال: ... وقد كان الأكابر من السلف يحثون على تعلم لغة العرب، ويرغبون فيها لما يعلمون من فضلها وفرط الحاجة إليها في معرفة ما في الكتاب، ثم في السنن والآثار، وأقاويل أهل التفسير من الصحابة والتابعين، من الألفاظ الغريبة والمخاطبات العربية، فإن من جهل لسان العرب وكثرة ألفاظها وافتنانها في مذاهبها، وجهل جمل علم الكتاب))[68].

وقال أيضًا: ((وقل من تقدم في علم من العلوم إلا بمعرفة الأدب، ومقاييس العربية، والنحو، وما حدثت البدع والأهواء المضلة إلا من الجهل بلغة العرب.))[69].

ونبه الإمام أبو إسحاق الشاطبي (ت: 790) عل ذلك فقال: ((فَمَنْ أَرَادَ تَفَهُّمَهُ، فَمِنْ جِهَةِ لِسَانِ الْعَرَبِ يُفْهَمُ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى تَطَلُّبِ فَهْمِهِ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْجِهَةِ))[70].

ومن أهم علوم العربية التي ينبغي على طالب علم التفسير أن يهتم بإتقانها[71]:

68() التفسير البسيط: (1/ 397 – 398).

69() السابق: (1/ 408)، وقد استفاض رحمه الله في التدليل على هذا الأصل من أهمية الرجوع إلى لغة العرب، فانظره فإنه نفيس .

70() الموافقات: (102/2 – 103)، وانظر: تكوين ملكة التفسير، للشريف حاتم: (77 – 86).

71() انظر: المفسر .. شروطه .. آدابه .. مصادره: (144 – 145)، وانظر: مقدمة جامع التفاسير: (94)، والبحر المحيط: (105/1 – 106)، والتيسير للكافيجي: (145)، والإتقان: (2287/6 – 2296).

1– علم اللغة: ومنه يدرك مفردات الألفاظ[72] .

وقد رجع الصحابة والتابعون – رضي الله عنهم – مع فصاحتهم وجلالتهم إلى هذا كمصدر مهم، فعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: "كُنْتُ لَا أَدْرِي مَا فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى أَتَانِي أَعْرَابِيَّانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بِئْرٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَنَا فَطَرْتُهَا، يَقُولُ: أَنَا ابْتَدَأْتُهَا "[73].

وعَن الشّعبِيّ قال في قوله تعالى: {فَإِذا هم بالساهرة}، قَالَ: إذا هم بِالْأَرْضِ ثمَّ تمثل بِبَيْت أُميَّة بن أبي الصَّلْت: وفيهَا لحم ساهرة وبحر ..[74].

بل ألفت كتب خاصة بهذا الاتجاه في مفردات القرآن (غريب القرآن)، ومن أجلها مفردات الراغب الأصفهاني، وكتاب أستاذنا العلامة محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم .

ولمعرفة لغة العرب أثر في ترجيح المعنى، ومن ذلك قول الطبري (ت: 310): ((وَأَوْلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ عِنْدَنَا بِتَأْوِيلِ قَوْلِهِ: {التَّنُّورُ} [هود: 40] قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ التَّنُّورُ الَّذِي يُخْبَزُ فِيهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَكَلَامُ اللَّهِ لَا يُوَجَّهُ إِلَّا إِلَى الْأَغْلَبِ الْأَشْهَرِ مِنْ مَعَانِيهِ عِنْدَ الْعَرَبِ إِلَّا أَنْ تَقُومَ حُجَّةٌ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَيُسَلَّمُ لَهَا. وَذَلِكَ أَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا خَاطَبَهُمْ بِمَا خَاطَبَهُمْ بِهِ لِإِفْهَامِهِمْ مَعْنَى مَا خَاطَبَهُمْ بِهِ.))[75].

ومن علم اللغة، العلم بطرائق العرب في البيا، وعلى ذلك تنبني أصول كبيرة:

– فمنها أنه يجب ((توجيه معاني ما في كتاب الله الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم من الكلام إلى ما كان موجودا مثله في كلام العرب دون ما لم يكن موجودا في كلامها.))[76].

ولا تزال المكتبة بحاجة إلى مقدمة في علوم العربية المتعلقة بالقرآن المجيد .

72() انظر: شرح مقدمة ابن جزي: (136).

73() جامع البيان: (175/9).

74() أخرجه ابْن أبي شيبَة، وَعبد بن حميد كما في الدر المنثور: (408/8).

75() جامع البيان: (406/12)، وانظر: (196/2)، (335/6)، (7/7)، (365/15)، (608/23)، وانظر: إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس: (132/5)، وإيثار الحق لابن الوزير اليماني: (165).

76() جامع البيان: (2/ 644)، ت: التركي .

وقد بنى الإمام الطبري على هذا الأصل عدة ترجيحات في معاني القرآن، وقد قرر هذا الأصل سيبويه (180هـ): ((العبادَ إنَّما كُلِّموا بكلامهم، وجاء القرآنُ على لغتهم وعلى ما يَعنون))[77].

- وكذلك، فإنه: ((لا يجوز أن يحمل تأويل القرآن إلا على الأظهر الأكثر من الكلام المستعمل في ألسن العرب، دون الأقل ما وجد إلى ذلك سبيل، ولم يضطرنا حاجة إلى ... طلب المخرج بالخفي من الكلام والمعاني.))[78].

وقد رجح الإمام الطبري بناءًا على هذه القاعدة، فقال في قوله تعالى: ((﴿تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي﴾ [آل عمران: 27] .

وأولى التأويلات التي ذكرناها في هذه الآية بالصواب تأويل من قال: يخرج الإنسان الحي والأنعام والبهائم الأحياء من النطف الميتة، وذلك إخراج الحي من الميت، ويخرج النطفة الميتة من الإنسان الحي والأنعام والبهائم الأحياء، وذلك إخراج الميت من الحي، وذلك أن كل حي فارقه شيء من جسده، فذلك الذي فارقه منه ميت، فالنطفة ميتة لمفارقتها جسد من خرجت منه، ثم ينشئ الله منها إنسانا حيا وبهائم وأنعاما أحياء، وكذلك حكم كل شيء حي زايله شيء منه، فالذي زايله منه ميت، وذلك هو نظير قوله: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ [البقرة: 28] .

وأما تأويل من تأوله بمعنى الحبة من السنبلة، والسنبلة من الحبة، والبيضة من الدجاجة، والدجاجة من البيضة، والمؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، **فإن ذلك وإن كان له وجه مفهوم، فليس ذلك الأغلب الظاهر في استعمال الناس في الكلام، وتوجيه معاني كتاب الله عز وجل إلى الظاهر المستعمل في الناس أولى من توجيهها إلى الخفي القليل في الاستعمال.**))[79].

77() الكتاب: (1/ 331).

78() جامع البيان: (5/ 365)، ت: التركي .

79() جامع البيان: (5/ 311).

وقد أُلف في هذا اللون مؤلفات، فلا داعي لإطالة القول فيه في هذه العجالة[80]، وهو منبه على أهمية فقه العربية، بل على أهمية التبحر فيها لطالب العلم التفسير .

80() انظر: التفسير اللغوي، للشيخ د. مساعد الطيار، ط. دار ابن الجوزي، والشاهد الشعري، للشيخ د. عبد الرحمن الشهري، ط. دار المنهاج .

2- علم النحو[81]:

إذ المعنى يتغير بتغير الإعراب، صحيح أن الأصل أن الإعراب فرع المعنى، لكن لبعدنا عن لغة العرب فإن الإعراب صار موصلًا للمعنى المراد .

يقول الإمام ابن جزي (ت: 741): ((وأما النحو: فلا بد للمفسر من معرفته، فإن القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى علم اللسان.

والنحو ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: عوامل الإعراب، وهي: أحكام الكلام المركب.

والآخر: التصريف، وهو: أحكام الكلمات قبل تركيبها.

وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه؛ من المشكل والمختلف فيه، أو ما يفيد فهم المعنى، أو يختلف المعنى باختلافه، ولم نتعرض لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذي لا يحتاج إليه إلا المبتدئ، فإن ذلك تطويل بغير كبير فائدة.)) [82].

والمقصود هنا، أن علم النحو مفيد لطالب علم التفسير، من جهة فهم المعنى، ومن جهة فهم الكتب التي نحت منحى الإعراب كالبحر لأبي حيان، والدر للسمين الحلبي .

ومن أمثلة المعالجة النحوية وأثرها في المعنى، ما ذكره الطبري (ت: 310) رحمه الله في قوله: ((قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: {وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: 35] فَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّي الْكُوفِيِّينَ: تَأْوِيلُ ذَلِكَ: {وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ} [البقرة: 35] فَإِنَّكُمَا إِنْ قَرُبْتُمَاهَا كُنْتُمَا مِنَ الظَّالِمِينَ. فَصَارَ الثَّانِي فِي مَوْضِعِ جَوَابِ الْجَزَاءِ، وَجَوَابُ الْجَزَاءِ يَعْمَلُ فِيهِ أَوَّلُهُ كَقَوْلِكَ: إِنْ تَقُمْ أَقُمْ، فَتَجْزِمُ الثَّانِي بِجَزْمِ الْأَوَّلِ. فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: {فَتَكُونَا} [البقرة: 35] لَمَّا وَقَعَتِ الْفَاءُ فِي مَوْضِعِ شَرْطِ الْأَوَّلِ نُصِبَ بِهَا، وَصُيِّرَتْ بِمَنْزِلَةِ كَيْ فِي نَصْبِهَا الْأَفْعَالَ الْمُسْتَقْبَلَةَ لِلُزُومِهَا الِاسْتِقْبَالَ، إِذْ كَانَ أَصْلُ الْجَزَاءِ

81() انظر في قواعد الترجيح المتعلقة بالإعراب، قواعد الترجيح، د. الحربي: (261/2)، قواعد التفسير، د. السبت: (238/1 - 240)، واختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق، د. محمد صالح: (199).

82() انظر: شرح مقدمة ابن جزي: (139).

الِاسْتِقْبَالَ. وَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّي أَهْلِ الْبَصْرَةِ: تَأْوِيلُ ذَلِكَ: لَا يَكُنْ مِنْكُمَا قُرْبُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَإِنْ تَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ. ... وَفِي قَوْلِهِ: {فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: 35] وَجْهَانِ مِنَ التَّأْوِيلِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ فَتَكُونَا فِي نِيَّةِ الْعَطْفِ عَلَى قَوْلِهِ: {وَلَا تَقْرَبَا} [البقرة: 35] فَيَكُونَ تَأْوِيلُهُ حِينَئِذٍ: وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ، وَلَا تَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ. فَيَكُونَ فَتَكُونَا حِينَئِذٍ فِي مَعْنَى الْجَزْمِ مَجْزُومٌ بِمَا جُزِمَ بِهِ {وَلَا تَقْرَبَا} [البقرة: 35]...))[83].

وفي معالجة أخرى، يبين الطبري أن الاتجاه النحوي يختلف عند ترجيح معنى من المعاني، فيقول في قول الله تعالى: {وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون} [الأنبياء: 95] .

((وإذ كان ذلك تأويل قول الله: وحرم , وعزم، على ما قال سعيد، لم تكن (لا) في قوله: {أنهم لا يرجعون} [الأنبياء: 95] صلة، بل تكون بمعنى النفي، ويكون معنى الكلام: وعزم منا على قرية أهلكناها أن لا يرجعوا عن كفرهم. وكذلك إذا كان معنى قوله: (وحرم) نوجبه. وقد زعم بعضهم أنها في هذا الموضع صلة، فإن معنى الكلام: وحرام على قرية أهلكناها أن يرجعوا، وأهل التأويل الذين ذكرناهم كانوا أعلم بمعنى ذلك منه.))[84].

83() انظـــــر: (557/1 – 558)، وانظـــــر: (718/1)، (51/2)، (649/5)، (106/6)، (208/9)، (530/20)، وانظر لمزيد من الأمثلة: قواعد الترجيح: (266/2)، (274/2).

84() جامع البيان: (16/ 397)، وانظر: الطبري، والجهود النحوية: (386).

3– علم الصرف: إذ به تعرف الأبنية والصيغ[85] .

والجهل بالتصريف موقع في الخطأ، ففي قوله تعالى: {يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ} [الإسراء: 71]، نقل عن بعضهم أنه جعل لفظ الإمام في الآية جمع أم، قال الزمخشري (ت: 538): ((ومن بدع التفاسير: أن الإمام جمع أمّ، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم))[86]، وهذا غلط أوجبه جهل بِالتَّصْرِيفِ فَإِنَّ "أُمًّا" لَا تُجْمَعُ عَلَى "إِمَامٍ"[87].

وكان العلماء يردون بعض المعاني بقاعدة: القول الذي يؤيده تصريف الكلمة واشتقاقها أولى بتفسير الآية[88]، وكان الإمام ابن عطية يقول: ((وهو قول يوهنه التصريف[89]))، وقال: ((وقال الطبري وغيره تَأَذَّنَ معناه أعلم وهو قلق من جهة التصريف إذ نسبة تَأَذَّنَ إلى الفاعل غير نسبة أعلم، وتبين ذلك من التعدي وغيره))[90].

ومن المعالجات الصرفية، ما ذكره الزمخشري، في قول ربنا: {الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلى لَهُمْ} [محمد: 25]: ((سوّل لهم: سهل لهم ركوب العظائم، من السول وهو الاسترخاء، وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعًا))[91].

ومن ذلك ما ذكره الإمام ابن عطية رحمه الله، ((و «السبات»:

السكون، وسبت الرجل معناه استراح واتدع وترك الشغل، ومنه السبات وهي علة معروفة سميت بذلك لأن السكون والسكوت أفرط على الإنسان حتى صار ضارا قاتلا، والنوم شبيه به إلا في الضرر، وقال

85() انظر: قواعد الترجيح، للشيخ/ حسين الحربي: (153/2)، وقواعد التفسير، د. السبت: (237/1)، وفصول في أصول التفسير: (141).

86() الكشاف: (682/2).

87() الإتقان: (2294/6).

88() انظر: قواعد الترجيح، للشيخ/ حسين الحربي: (156/2).

89() المحرر الوجيز: (384/2)، وانظر: (171/3)، (359/3)، (502/3)، وانظر: جامع البيان: (167/11)، ومجموع الفتاوى: (226/17)، والتفسير القيم: (464)، وقواعد الترجيح: (159).

90() المحرر الوجيز: (471/2).

91() الكشاف: (4/ 326)، وأضواء البيان: (7/ 379).

أبو عبيدة: سباتا قطعا للأعمال والتصرف، والسبت: القطع ومنه سبت الرجل رأسه إذا قطع شعره، ومنه النعال السبتية وهي التي قطع عنها الشعر، ولباسا مصدر، وكان الميل كذلك من حيث يغشي الأشخاص، فهي تلبسه وتتدرعه، وقال بعض المتأولين: جعله لباسا لأنه يطمس نور الأبصار، ويلبس عليها الأشياء **والتصريف يضعف هذا القول**، لأنه كان يجب أن يكون ملبسا، ولا يقال لباسا إلا من لبس الثياب والنهار معاشا على حذف مضاف أو على النسب، وهذا كما تقول ليل نائم..))[92].

وقال أبو حيان: ((قال ابن عطية: ومن قال: غير مسمع غير مقبول منك، فإنه لا يساعده التصريف، وقد حكاه الطبري عن الحسن ومجاهد انتهى.

ووجه أن التصريف لا يساعد عليه هو أن العرب لا تقول أسمعتك بمعنى قبلت منك، وإنما تقول: سمعت منك بمعنى قبلت، فيعبرون عن القبول بالسماع على جهة المجاز، لا بالأسماع.))[93].

92() المحرر الوجيز: (5/ 424)، وانظر: (2/ 62)، (3/ 171)، (4/ 119)، وقد تعقبه أبو حيان في بعض ما رده بالتصريف، فليتنبه له .

93() البحر المحيط: (3/ 663).

4- علم الاشتقاق[94]:

((لِأَنَّ الِاسْمَ إِذَا كَانَ اشْتِقَاقُهُ مِنْ مَادَّتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ اخْتَلَفَ الْمَعْنَى بِاخْتِلَافِهِمَا كَالْمَسِيحِ هَلْ هُوَ مِنَ السِّيَاحَةِ أَوِ الْمَسْحِ!))[95].

ومعرفة أصل اشتقاق اللفظ يفيد في جمع جملة من المفردات القرآنية المتناثرة بتصريفات متعددة تحت معنى كليٍّ واحد، وهذه المعرفة تسوق إلى تفسير اللفظ في سياقه، بحيث يُعبَّر عنه بما يناسبه في هذا السياق، ويعبر عنه بما يناسبه في السياق الآخر، وكلها ترجع إلى هذا المعنى الاشتقاقي الكليّ .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: {والليل وما وسق * والقمر إذا اتسق}[الانشقاق: 17-18]، فمادة (وسق) تدلُّ على جمع وضمٍّ واحتواء، ولفظة (وسق واتسق) مشتقة منها، فمعنى الآية الأولى: والليل وما جمع وحوى وضمَّ من نجوم وغيرها .

ومعنى الآية الأخرى: والقمر إذا اجتمع واكتمل فصار بدرًا .

وبهذا تكون مادة اللفظتين من أصل واحد، وهو الجمع والضمُّ[96].

ولذلك لم تخل تفسيرات السلف من الإشارة إلى مسألة الاشتقاق, فتجد في تفسيراتهم التنبيه على هذه المسألة اللغوية المهمة، ومن ذلك ما رواه الطبري (ت: 310) وغيره في تفسير قوله تعالى: {وعلم آدم الأسماء كلها}[البقرة: 31]، فقد أورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (ت: 68)، قَالَ: «بَعَثَ رَبُّ الْعِزَّةِ مَلَكَ الْمَوْتِ، فَأَخَذَ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ مِنْ عَذْبِهَا وَمَالِحِهَا، فَخَلَقَ مِنْهُ آدَمَ. وَمِنْ ثَمَّ سُمِّيَ آدَمَ لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ»[97].

94() انظر: قواعد الترجيح، للشيخ/ حسين الحربي: (153/2).
95() الإتقان: (2294/6).
96() انظر: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير: (174).
97() جامع البيان: (511/1).

وفي تفسير غريب قوله تعالى: {ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون}[البقرة: 51] عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ (ت: 93)، قَالَ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْعِجْلُ، لِأَنَّهُمْ عَجِلُوا فَاتَّخَذُوهُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ مُوسَى»[98].

وممن له في تفسيره شيء من العناية بهذا الباب مقاتل بن سليمان (ت: 150)، ومن غريب ما ورد عنه في الاشتقاق قوله: «تفسير آدم عليه السلام؛ لأنه خُلِق من أديم الأرض، وتفسير حواء؛ لأنها خُلِقت من حيٍّ، وتفسير نوح؛ لأنه ناح على قومه، وتفسير إبراهيم: أبو الأمم، ويقال: أبٌ رحيم، وتفسير إسحاق؛ لضحِك سارَّة، ويعقوب؛ لأنه خرج من بطن أمه قابض على عقب العيص، وتفسير يوسف: زيادة في الحسن، وتفسير يحيى: أحيي من بين ميتين؛ لأنه خرج من بين شيخ كبير وعجوز عاقر، صلى الله عليهم أجمعين» [99].

وممن عُنِيَ بأصل الاشتقاق من اللغويين ابن قتيبة (ت: 276)، في كتابيه (تأويل مشكل القرآن)، و (تفسير غريب القرآن) [100].

كما عُنِيَ الراغب الأصفهاني (ت: 400) بأصل الاشتقاق في كتابه (مفردات ألفاظ القرآن) .

ومن المعالجات التفسيرية، المتعلقة بالاشتقاق، ما أورده الطبري في قوله تعالى: {وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا} [الإسراء: 8]، بعد أن ذكر أن بعض السلف قال بأنه مأخوذ من الحصير المفترش [وهو قول الحسن]، وبعضهم قال بأنه الحبس: ((وذهب الحسن بقوله هذا إلى أن الحصير في هذا الموضع عني به الحصير الذي يبسط ويفترش، وذلك أن العرب تسمي البساط الصغير حصيرا، فوجه الحسن معنى الكلام إلى أن الله تعالى جعل جهنم للكافرين به بساطا ومهادا، كما قال: {لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش} [الأعراف: 41] وهو وجه حسن وتأويل صحيح وأما الآخرون، فوجهوه إلى أنه فعيل. من الحصر الذي هو الحبس. وقد بينت ذلك بشواهده في سورة البقرة، وقد تسمي العرب الملك حصيرا بمعنى أنه محصور: أي محجوب عن الناس، كما قال لبيد:

ومقامة غلب الرقاب كأنهم ... جن لدى باب الحصير قيام

98() جامع البيان: (674/1).

(99) تفسير مقاتل بتحقيق د / عبد الله شحاته (3: 53) .

100() انظر: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير: (172 - 173).

يعني بالحصير: الملك، ويقال للبخيل: حصور وحصر: لمنعه ما لديه من المال عن أهل الحاجة، وحبسه إياه عن النفقة، كما قال الأخطل:

وشارب مربح بالكأس نادمني ... لا بالحصور ولا فيها بسوار

ويروى: بسآر. ومنه الحصر في المنطق لامتناع ذلك عليه، واحتباسه إذا أراده. ومنه أيضا الحصور عن النساء لتعذر ذلك عليه، وامتناعه من الجماع، وكذلك الحصر في الغائط: احتباسه عن الخروج، وأصل ذلك كله واحد وإن اختلفت ألفاظه. فأما الحصيران: فالجنبان، كما قال الطرماح:

قليلا تتلى حاجة ثم عوليت ... على كل مفروش الحصيرين بادن

يعني بالحصيرين: الجنبين. والصواب من القول في ذلك عندي أي يقال: معنى ذلك: {وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا} [الإسراء: 8] فراشا ومهادا لا يزايله، من الحصير الذي بمعنى البساط، لأن ذلك إذا كان كذلك كان جامعا معنى الحبس والامتهاد، مع أن الحصير بمعنى البساط في كلام العرب أشهر منه بمعنى الحبس....))[101].

101() جامع البيان: (14/ 510).

5- علم البلاغة[102]:

فإن المرء لن يعلو فهمه للقرآن بحيازة هذا العلم، ولن يدرك أساليب القرآن إلا بإدراك هذا العلم، بل عده الزمخشري (ت: 538) من العلوم المختصة فقال: ((ثُمَّ إن أملأَ العلوم بما يغمرُ القرائحَ، وأنهضَها بما يبهرُ الألبابَ القوارحَ من غرائبِ نكتٍ يلطفُ مسلكُها، ومستودعاتِ أسرارٍ يدقُّ سِلْكها = علمُ التفسير الذي لا يتمُّ لتعاطيه وإجالةِ النظر فيه كلُّ ذي علم، كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن.

فالفقيهُ وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلمُ وإن بزَّ أهلَ الدنيا في صناعةِ الكلام، وحافظُ القصصِ والأخبارِ وإن كان من ابن القِرِّيَّة أحفظ، والواعظُ وإن كان من الحسنِ البصري أوعظ، والنحويُّ وإن كان أنحى من سيبويه، واللغويُّ وإن علك اللغاتِ بقوة لحييه = لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجلٌ قد برعَ في علمين مختصين بالقرآنِ، وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهَّلَ في ارتيادِهما آونةً، وتعبَ في التنقيرِ عنهما أزمنةً، وبعثته على تتبُّعِ مظانِّهما هِمَّةٌ في معرفةِ لطائفِ حجةِ اللهِ، وحرصٌ على استيضاحِ معجزةِ رسول الله، بعد أن يكونَ آخذًا من سائرِ العلومِ بحظٍ، جامعًا بين أمرين: تحقيقٍ وحفظٍ ...))[103]، وهذا وإن كان فيه توسع، إلا أنه مفيد في بيان أهمية هذا العلم .

ومن الأمثلة على تأثر المعنى بترجيح أسلوب من الأساليب البلاغية، في قوله تعالى: {وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ} [غافر: 28] «فقوله: {مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ} صفة للمؤمن، وقيل: كان من بني إسرائيل» فقوله: {مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ} على هذا يتعلق بقوله: {يَكْتُمُ إِيمَانَهُ} . يعني: يكتم إيمانه من آل فرعون . ثم قال: «والأول أرجح؛ لأنه لا يحتاج فيه إلى تقديمٍ وتأخير، ولقوله: {فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ} [غافر: 29] لأن هذا كلامُ قريبٍ شفيق؛ ولأن بني إسرائيل حينئذ كانوا أذلاء بحيث لا يتكلم أحد منهم بمثل هذا الكلام»[104]، فقد رجّح أن يكون المؤمن من آل فرعون وليس من بني إسرائيل؛

102() انظر: البحر المحيط: (107/1)، والتيسير في قواعد علم التفسير: (146)، والإتقان: (2294/6 - 2296)، والتحرير والتنوير: (17/1).

103() الكشاف: (15/1 - 17) .

104() التسهيل، لابن جزي: (230/2)، ت: الخالدي .

لأن الأصل أن يكون الكلام على ترتيبه، ولا يقال بالتقديم والتأخير إلا إذا لم يفهم إلا بالتقديم والتأخير[105]، وهذا مترتب على الأسلوب البلاغي .

ومن ذلك تنوع الاستعمال العربي للفظة في إرادة المعاني القريبة والمعاني البعيدة، فيحمل بعضهم اللفظة على المعنى القريب الظاهر، ويحمله آخرون على المعنى البعيد، ومثاله : قوله تعالى: {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ *} [المدثر: 4]، فمن المفسرين من فسر الثياب بالمعروف المتبادر، وروي هذا عن ابن عباس، وطاوس، وابن سيرين، وابن زيد.

ومنهم من فسر الثياب بالنفس، وهذا المعنى بعيد غير متبادر، وهو مروي عن مجاهد وقتادة[106].

وبهذا الكلام تُدرك فصاحة الكتاب، و((الصحيح في نفسه أن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه.

ووجه إعجازه أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما، وأحاط بالكلام كله علما، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل، والنسيان، والذهول، ومعلوم ضرورة أن بشرا لم يكن قط محيطًا.

فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، وبهذا النظر يبطل قول من قال: «إن العرب كان من قدرتها أن تأتي بمثل القرآن فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه» .

والصحيح أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يصنع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقحها حولًا كاملًا، ثم تعطى لآخر نظيره فيأخذها بقريحة جامة فيبدل فيها وينقح ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل، **وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد.**

ونحن تبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام.

105() شرح مقدمة التسهيل: (163)، وانظر منه: (253 - 284).
106() جامع البيان: (144/29 - 147).

ألا ترى ميز الجارية نفس الأعشى وميز الفرزدق نفس جرير من نفس ذي الرمة ونظر الأعرابي في قوله: «عز فحكم فقطع» إلى كثير من الأمثلة اكتفيت بالإشارة إليها اختصارا.

فصورة قيام الحجة بالقرآن على العرب أنه لما جاء محمد صلى الله عليه وسلم به وقال: {فأتوا بسورة من مثله} [البقرة: 23] قال كل فصيح في نفسه: وما بال هذا الكلام حتى لا آتي بمثله؟ فلما تأمله وتدبره، ميز منه ما ميز الوليد بن المغيرة حين قال: «والله ما هو بالشعر ولا هو بالكهانة ولا بالجنون» وعرف كل فصيح بينه وبين نفسه أنه لا يقدر بشر على مثله، فصح عنده أنه من عند الله تعالى.

فمنهم من آمن وأذعن، ومنهم من حسد كأبي جهل وغيره ففر إلى القتال، ورضي بسفك الدم عجزا عن المعارضة، حتى أظهر الله دينه، ودخل جميعهم فيه، ولم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الأرض قبيل من العرب يعلن كفره. وقامت الحجة على العالم بالعرب إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة.))[107].

وأختم أهمية علوم العربية، بما قاله الإمام أبو حيان في خطبة البحر: ((وترتيبي في هذا الكتاب، أني أبتدىء أولا بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها، لفظة لفظة، فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب.

وإذا كان للكلمة معنيان أو معان، ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة، لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه، فيحمل عليه، ثم أشرع في تفسير الآية، ذاكرا سبب نزولها، إذا كان لها سبب، ونسخها ومناسبتها وارتباطها بما قبلها، حاشدا فيها القراءات، شاذها ومستعملها، ذاكرا توجيه ذلك في علم العربية، ناقلا أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها، متكلما على جليها وخفيها، بحيث إني لا أغادر منها كلمة، وإن اشتهرت، حتى أتكلم عليها، مبديا ما فيها من غوامض الإعراب ودقائق الآداب من بديع وبيان، مجتهدا أني لا أكرر الكلام في لفظ سبق، ولا في جملة تقدم الكلام عليها، ولا في آية فسرت، بل أذكر في كثير منها الحوالة على الموضع الذي تكلم فيه على تلك اللفظة أو الجملة أو الآية، وإن عرض تكرير فبمزيد فائدة، ..

107() المحرر الوجيز: (1/ 52 - 53)، ط. العلمية .

وكذلك ما نذكره من القواعد النحوية أحيل في تقررها والاستدلال عليها على كتب النحو، وربما أذكر الدليل إذا كان الحكم غريبا، أو خلاف مشهور ما قال معظم الناس، بادئا بمقتضى الدليل وما دل عليه ظاهر اللفظ من حجا له لذلك ما لم يصد عن الظاهر ما يجب إخراجه به عنه، منكبا في الإعراب عن الوجوه التي تنزه القرآن عنها، مبينا أنها مما يجب أن يعدل عنه، وأنه ينبغي أن يحمل على أحسن إعراب وأحسن تركيب، إذ كلام الله تعالى أفصح الكلام، فلا يجوز فيه جميع ما يجوزه النحاة في شعر الشماخ والطرماح وغيرهما من سلوك التقادير البعيدة والتراكيب القلقة والمجازات المعقدة.

ثم أختتم الكلام في جملة من الآيات التي فسرتها إفرادا وتركيبا بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع، ملخصًا ..))[108].

108() البحر المحيط: (1/ 13).

الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات

ظهر مما سبق أهمية اطلاع طالب علم التفسير على العلوم الشرعية وأخذ طرف من كل هذه العلوم، ليكون أبصر بالحق، وأفقه بالباطل، ولذلك كانت أهم نتائج هذا البحث:

1. أهمية الإعداد الذاتي لطالب العلم في العلوم الشرعية، على اختلاف أنواعها، نظرًا لضعف الإعداد في كثير من الجامعات، والمعاهد النظامية[109] .

2. لم يكن بحث التكامل غائبًا عن علمائنا، فقد بحثوه في كتبهم من خلال مبحث ((شروط المفسر وآدابه)).

3. التفنن هو أن يحصل الطالب من كل علم من العلوم الشرعية (وسائل ومقاصد) ما يعينه على الاجتهاد الجزئي في تلك العلوم.

3. التخصص أن يفرغ الطالب لعلم معين بعد فراغه من دراسة ما يؤهله من بقية العلوم ليستخرج دقائقه ويحرر مسائله.

4. من الواضح في العلوم الشرعية التداخل والتلاحم القائم بين العلوم التي نشأت في التراث، فهناك علاقة تداخلية وتكاملية.

5. علم العقيدة من أشرف العلوم، وهو مهم لطالب علم التفسير من جهات متعددة .

6. لا بد أن يهتم طالب علم التفسير، بالسنة وعلومها، فهي معينة على إدراك التفسير، وجودة التعامل مع مصادره.

109() تنبيه: هناك كُتُبٌ كثيرة في مناهج الطلب المعتمد على التعليم الذاتي من أهمها – في حدود اطلاعي –:
1- السبل المرضية لطلب العلوم الشرعية، للباحث الأستاذ أحمد سالم .
2- المتون العلمية للشيخ عبدالعزيز القاسم .
3- الموسوعة العلمية في منهج الطلب، موقع صيد الفوائد: ((http://www.saaid.net/mktarat/alalm/)).

7. أما علم الفقه، فإنه لازم لطالب علم التفسير، لمعرفة طرق التعامل مع آيات الأحكام، وإدراك منهج المفسر في التعامل معها .

8. أما أصول الفقه، فإنه نعم العون على فهم المعاني وترجيح الأقوال.

9. لا يتأتى لمن جهل لسان العرب أن يعرف تفسير كتاب الله عزوجل .

وأما أبرز التوصيات:

أولًا: أوصي نفسي وإخواني طلاب العلم بأهمية الإعداد الذاتي عن طريق برنامج من برامج الطلب المبثوثة.

ثانيًا: أوصي بأن تتبنى جهة علمية إعداد برامج علمية خاصة بطلاب العلم، وليكن عبر صفحات الشبكة العنكبوتية، وأشيد بالجهد – الذي أتمنى أن يتواصل – لملتقى أهل التفسير، باستكتاب بعض أهل العلم وطلبته للكتابة في بعض الفنون، ومنها:

1- شرح فصيح ثعلب للشيخ أبي مالك العوضي .

2- شرح مائة المعاني والبيان، للشيخ د. محمد نصيف .

ثالثًا: أوصي بإعداد حلقات للقراءة والمناقشة بين طلاب العلم، للاستفادة من الخبرات المختلفة في العلوم المتنوعة .

هذا والحمد لله أولًا وآخرًا، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

ملاحق البحث

(1)

علم التفسير وسؤال المنهجية

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على نبيه وعبده، وآله وصحبه من بعده، أما بعد:

فإن علم القرآن العظيم: هو أرفع العلوم قدرا، وأجلها خطرا، وأعظمها أجرا، وأشرفها ذكرا، وإن أحق ما صرفت إلى علمه العناية، وبلغت في معرفته الغاية، ما كان لله في العلم به رضا، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدى، وإن أجمع ذلك لباغيه، كتاب الله الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مرية فيه، الفائز بجزيل الذُّخر وسَنَى الأجر تاليه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. [مقدمتي الطبري، وابن جزي].

ما السؤال ؟

إنا لنشكو في هذه الأزمان من العشوائية في طلب العلوم على اختلافها، وعلم التفسير من العلوم التي أخذت نصيبها من تلك العشوائية، وقد ظهر مؤخرًا – بحمد الله – توجه للبحث عن المنهجية لتحل بدلًا من العشوائية، ولكن فريقًا انشغل بالسؤال عن (ماذا)، وأصبح هذا السؤال من معوقات التحصيل أيضًا!!، وفي هذه المقالة لن يكون الاهتمام بسؤال (ماذا أقرأ؟)، ولكن سأحاول الإجابة – أكثر – عن سؤال (كيف أقرأ؟).

إن علم التفسير ليس كغيره من العلوم التي وجدت فيها متون يترقى الطالب فيها من متن يصور مسائل العلم، إلى آخر يصور المسألة مع إقامة الدليل، إلى ثالث يضيف دفع الشبهات عن الدليل، وتحرير المسألة .

ولذلك فلا بد أولًا من سؤال ينبني عليه طبيعة الكتب التي ستقرأ، وطريقة القراءة، وهو ما الهدف من قراءتك لكتب التفسير ؟، واختصارًا فإن الناس ينقسمون في قراءة كتب التفسير إلى:

1- مريد لمعرفة معنى الآية الإجمالي، مع إدراك شيء من لطائفها، ليفهم كلام ربه سبحانه وتعالى، إذ كيف يلتذ بكلام الله من لا يعرف معانيه ؟!!

2- طالب علم يريد – إضافة إلى ما سبق – الترقي في هذا العلم كما يترقى في غيره من العلوم .

فأما الأول، فإنه بحاجة إلى أمرين:

1- إدراك غريب القرآن، ويكفيه ما يعينه على إدراك معنى الكلمة من أقرب طريق، ككتاب الشيخ العلامة / مخلوف، أو كتاب د. الخضيري (السراج في بيان غريب القرآن).

2- إدراك المعنى الإجمالي، وهناك كتب ألفت في هذا المجال، وهي كتب يسيرة سهلة، ككتاب التفسير الميسر، أو المختصر في التفسير، أو تفسير العلامة السعدي .

فإن أردا أكثر من ذلك فعليه بمختصرات التفسير، كمختصرات ابن كثير، مع الاستعانة بالكتب التي تهتم بذكر لطائف الآي، ومن الإصدرات التي تفيد هذه الطبقة، كتب الشيخ العلامة/ فريد الأنصاري، والمبدع الأستاذ/ إبراهيم السكران، وإصدرات مركز تدبر .

أما الثاني – وهو موضوع المقالة –، فيحتاج أن يسلك طريقًا تعينه على إدراك مراده، وذلك ما سأجتهد في إبرازه في الآتي، فأقول:

أولًا: إن طالب العلم بحاجة إلى معرفة الفرق بين التفسير وبين المعلومات الموجودة في كتب التفسير، فليس كل معلومة موجودة في كتب التفسير هي من صلب علم التفسير، إذ كل علم له بالقرآن تعلق، وقد يستطرد المفسر في علم برع فيه، فيتكلم عليه في سياقات كلامه عن الآيات .

ثانيًا: إذا علمت ذلك، فإن أولى ما تتوجه إليه العناية أن تعتني بالمعاني، فالتفسير في حقيقته، هو إدراك معاني القرآن، وهي – لعمري – ليست بالهينة، وليس الخبر كالمعاينة وقد يعسر على صاحب الوجد أن يصف الصبابة وصفًا يحقق ما في نفسه في نفس قارئه، فاطلب = تجد.

ثالثًا: أول ما تهتم به – رعاك الله – أن تدرك أمرين اثنين:

1- إدراك غريب القرآن، ومن أيسر كتبه (السراج للخضيري)، وأجلها (مفردات الراغب).

2- إدراك المعنى الإجمالي، فاهتم بالكتب التي تصور المعنى في ذهنك تصويرًا صحيحًا، وابتعد عن الكتب التي كتبت بالأسلوب الإنشائي، فإنها ستشوش عليك ذهنك، ومن الكتب التي أقترحها لك، (التفسير الميسر – المختصر في التفسير – تفسير ابن جزي ط. المنتدى – تفسير ابن أبي زمنين ط. الفاروق، – تفسير الإيجي، جامع البيان ط. غراس).

ومما أختاره وأشجع عليه، أن لا تكتفي في هذه المرحلة بكتاب واحد، بل كن ذا همة، واجمع بين كتابين من كتب التفسير لئلا تتعنى في المرحلة التالية، وهما: (التفسير الميسر، وتفسير الإمام ابن جزي الكلبي ط. المنتدى الإسلامي).

كذلك فابتعد عن بعض الكتب التي راج أنها كتبت للمبتدئ، وإنما غرهم قصرها، وهي في الحقيقة من الكتب التي تحتاج إلى عالم ماهر لما فيها من إلغازٍ واستغلاق، ككتاب الإمامين الجلالين، وكتفسير القاضي البيضاوي.

وفي هذه المرحلة عليك أن تطالع شيئًا في أسباب النزول، مع تكرار قراءة أصلك في التفسير أكثر من مرة، حتى ترى أنك قد استظهرته لتنتقل إلى ما بعده .

واحذر في هذه المرحلة من أن تعيقك الإشكالات، أو الاستطراد في غير فهم المعانى .

رابعًا: بعد هذه المرحلة يلزمك لزامًا أن تطلع على كتب أصول التفسير، وعلوم القرآن، ومناهج المفسرين .(110)

خامسًا: بعد هذه المرحلة التي تكون قد أدركت فيها:

1- المعنى الإجمالي، مع معرفة الغريب .

2- وأدركت طرفًا من علوم القرآن وأصول التفسير، ومناهج المفسرين .

110() راجع: جهود الأمة في أصول التفسير، علوم القرآن تاريخه وتصنيف أنواعه، كلاهما للشيخ د. مساعد الطيار .

3- مع دراستك لمبادئ العلوم الشرعية، إذ هن إخوة لعلات .

فأنت مؤهل للدخول في المرحلة التالية، وأهم ما ينبغي عليك أن تفعله:

((أن تعرف الأقاويل في التفسير)).

وهذا يا رعاك الله، دأب أهل التحقيق من المفسرين، وكان الشيخ تقي الدين ابن تيمية فيما حكاه ابن رشيق يقول: ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مئة تفسير، ثم قال ابن رشيق: فكتب الشيخ نقول السلف مجردًا عن الاستدلال، على جميع القرآن، وكتب في أوله قطعة كبيرة بالاستدلال، ورأيت له سورًا وآيات يفسرها ويقول في بعضها: كتبته للتذكّر، ونحو ذلك[111].

ومن الكتب المرشحة لهذه المرحلة، كتاب الإمام ابن الجوزي، (زاد المسير، ط. المكتب الإسلامي، أو دار الفكر)، وهو أحد الكتب التي كان يعتمدها الشيخ تقي الدين.

وفي هذه المرحلة، إما أن تعتمد على قراءتك وذهنك، وإما - وهو المختار - أن تلخص الأقوال مع الاعتناء بتحفظها، ونسبتها إلى أصحابها .

وفي هذه المرحلة، اهتم بمطالعة بعض كتب التفسير المناسبة لمرحلتك، ككتاب الإمام الحافظ أبي الفداء ابن كثير، وكتاب التفسير للإمام ابن أبي حاتم، والدر المنثور للحافظ السيوطي.

والجامع لهذه الكتب هي الاهتمام بجمع الأقاويل في الآيات، مع ما في بعضها من التحرير .

ولا تصلح مذاكرة هذه المرحلة مرة واحدة، ولذلك فأنت لو وضعت زاد المسير كأصل لهذه المرحلة، فاجعل لك مع كل مذاكرة له، أحد كتب التفسير الأخرى المعينة على شيء من التحرير.

سادسًا: وبعد تلك الرحلة - أيها الموفق - فعليك بكتابين عظيمين جليلين، لإمامين من أئمة هذا الشأن، أحدهما الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، وكتابه جامع البيان، الذي قال فيه، ((حدثتني به نفسي وأنا صبي، وقال: استخرت الله تعالى في عمل كتاب التفسير وسألته العون على ما نويته ثلاث سنين قبل أن أعمله فأعانني.

111() الجامع في سيرة شيخ الإسلام: (238).

وقال بعضهم: رأيت في النوم كأني في مجلس أبي جعفر والناس يقرؤون عليه كتاب التفسير، فسمعت هاتفا بين السماء والأرض يقول: من أراد أن يسمع القرآن كما أنزل فليسمع هذا الكتاب.)).

وأما ثاني الأئمة فهو المحقق الفقيه القاضي الإمام أبو محمد ابن عطية، وكتابه المحرر الوجيز، الذي قال في مقدمته، وهي كالشهد حلاوة فارجع إليها: ((وأنا وإن كنت من المقصرين فقد ذكرت في هذا الكتاب كثيرا من علم التفسير، وحملت خواطري فيه على التعب الخطير، وعمرت به زمني، واستفرغت فيه منني، إذ كتاب الله تعالى لا يتفسر إلا بتصريف جميع العلوم فيه، وجعلته ثمرة وجودي، ونخبة مجهودي، فليستصوب للمرء اجتهاده، وليعذر في تقصيره وخطئه وحسبنا الله ونعم الوكيل.))، وكم أتمنى أن تقف على تلك المقدمة، لتشاهد مطالع الأنوار، وما احتوت عليه من أسرار.

فابدأ بكتاب الإمام ابن عطية، فافهمه، وقلّبه، واجعله سميرك، فهو كتاب مؤسِّس لا يستغني عنه طالب هذا العلم الجليل، وهذا الكتاب يحتاج إلى نظر دقيق، وتأمل أنيق .

أما تفسير ابن جرير، فإني أستعفي من الكلام عنه في هذه المقالة.

وعليك في أثناء قراءتك، بالاعتناء بالتالي:

1- معرفة أقوال السلف، مع ضبط ما حدث بعدهم من الأقوال الصحيحة المحتملة .

2- القواعد العلمية التي يستخدمها العلماء من أهل التحقيق .

3- طريقة الوصول للمعنى .

4- مناقشة الاختلاف بين المفسرين، مع توجيه أقوال السلف خصوصًا عند ابن عطية .

5- التعرف على منهجية المفسر، وهي مهمة جدًا في إدراك المؤثرات على المفسر، كعقيدته، أو توجه تفسيره .

ومما ينبغي الاهتمام به، الاهتمام بتطبيقات علوم القرآن في كتب المفسرين، وإنما - نبهت على هذا - لأن كتب التفسير تحتوي على تطبيقات لا توجد في مصنفات علوم القرآن .

نصائح عامة:

1- اقصد البحر وخل القنوات، وأعني بهذا أن تعتني بأصول الكتب لا مختصراتها، فإن كثيرًا من المختصرات من شأنها، أن تبعد عنك الاستفادة من منهجية التعامل مع مشكلات التفسير، وذلك كأن تقرأ مختصرًا لابن كثير (على جودة بعض مختصراته)، فستضيع عندك فائدة تعامل الإمام مع أسانيد التفسير، وهي من الدقائق .

2- الإشكالات في كتب التفسير كثيرة، ولذلك فاحرص على تجاوز هذه الإشكالات، وعدم الإغراق فيها، بل كلٌ بحسبه .

3- اجعل لك كتابًا يكون أصلًا تضيف إليه فوائد الكتب الأخرى أثناء قراءتك، بحيث تستطيع أن تستظهر الأقوال وتوجيها من خلاله .

4- لا بد من العناية بالتعرف على منهج السلف، ومن سار على منهجهم من خلال التطبيقات العملية التي يقومون بها في تفاسيرهم.

5- اعتن بتطبيق أصول التفسير على ما يقرأ من التفسير.

6- معرفة المنهج العام للمفسر، والربط بين معلومات الكتاب، وهذا مما يعين في فهم ما يستغلق من كلام المفسر، وكذلك الرجوع إلى موارد المفسر الأصلية إن أمكن، فقد يتبين من خلال ذلك خطأ في فهم المفسر لمن نقل عنه، كما أن بعض المفسرين يختصر بعض الأخبار والآثار مما قد ينبهم على من يقرأ كلامه، فإذا عاد إلى أصوله التي نقل منها توضح هذا الإبهام. [مستفاد من مقال، للشيخ مساعد الطيار].

7- عليك بقراءة كتب أهل التحقيق من المفسرين ومنهم: (الطبري – ابن عطية – ابن تيمية – أبو حيان – ابن كثير – الشنقيطي – ابن عاشور).

وأخيرًا، لا تحسبن طريق العلم ميسورًا لأهل التكاسل، بل إنه لن يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، وقديمًا قال ابن معطي:

وَ بَعْدُ فَالْعِلْمُ جَلِيلُ الْقَدْرِ ... وَفِي قَلِيلِهِ نَفَاذُ الْعُمْرِ

فَابْدَأْ بِمَا هُوَ الأَهَمُّ فَالأَهَمُّ ... فَالْحَازِمُ الْبَادِئُ فِيمَا يُسْتَتَمُّ

فَإِنَّ مَنْ يُتْقِنُ بَعْضَ الْفَنِّ ... يُضْطَرُّ لِلْبَاقِي وَلاَ يَسْتَغْنِي

هذا، ودونك البحر فاهل، وعن دعوة لأخيك لا تغفل، والحمد لله المحمود في كل حال، والصلاة والسلام على نبيه والآل .

(2)

خطة تأهيل طلاب العلم في الدراسات القرآنية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن هذه الخطة تهدف إلى إعانة طلاب العلم في سلوك طريق الدراسات القرآنية، وتبدأ هذه الخطة من افتراض وجود طالب علم لديه معرفة اولية بمبادئ العلوم الشرعية (المقاصد – الوسائل) .

وتهدف هذه الخطة إلى الآتي:

1- وضع الدارس على بداية مرحلة التخصص في الدراسات القرآنية (المرحلة المتوسطة) .

2- تدريب الدارس على مجالات البحث في الدراسات القرآنية، وبخاصة (علوم القرآن – أصول التفسير).

مستويات الخطة

المستوى الأول: التعريف العام بالدراسات القرآنية

يهدف هذا المستوى إلى الآتي:

تعريف الدارس بالدراسات القرآنية تعريفًا عامًا، يدرك من خلاله (تعريف العلم – تاريخه – أهم مسائله – أبرز المؤلفات فيه – أبرز المؤلفين فيه وإسهاماتهم) .

ويتم ذلك عبر الآتي:

1- الاستماع لدورة (المنتقى من كتب الدراسات القرآنية - إعداد فضيلة الشيخ د. عبدالرحمن الشهري).

والمقصود:

معرفة عامة المصنفات في العلم الشريف، مع ما يطرق ذهن الدارس من أسماء المصنفين، وعلماء الفن .

2- قراءة بحث: (علوم القرآن .. تاريخه وتصنيف أنواعه)، والمنشور بمجلة الإمام الشاطبي، للشيخ د. مساعد الطيار .

والمقصود:

معرفة تاريخ علوم القرآن، وأبرز المصنفات فيه، وتصنيف أنواع العلوم المتعلقة بالقرآن .

ويفتقر البحث للجانب المعاصر .

3- قراءة بحث: (جهود الأمة في أصول التفسير)، للشيخ د. مساعد الطيار .

والمقصود:

معرفة تاريخ أصول التفسير، وأبرز المصنفات فيه، وكيفية الاستفادة من الكتب المؤلفة فيه .

4- قراءة كتاب: (مدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف)، د. حازم حيدر .

والمقصود:

معرفة قضايا مهمة تتعلق بالقرآن الكريم، كتعريفه، وجمعه، ورسمه ... إلى غير ذلك، وهو مدخل حسن إلى التعامل مع القرآن، والتعامل مع علوم القرآن .

المستوى الثاني: مرحلة المبتدئ في الدراسات القرآنية

ويهدف هذا المستوى إلى الآتي:

تعريف الدارس بأهم مسائل علوم القرآن وأصول التفسير .

ويتم ذلك عبر الآتي:

1- مذاكرة القواعد الأساسية للشيخ عبدالله الجديع .

والمقصود:

معرفة القضايا الأساسية في علوم القرآن، وتقرير المسائل المذكورة في الكتاب على ما قرره الشيخ الجديع .

2- مذاكرة التحرير في أصول التفسير للشيخ د. مساعد الطيار .

والمقصود:

معرفة كيفية تحرير الأقوال في أصول التفسير، ولا بد من مساعدة الشيخ للطالب في وضع يده على نوع الأدلة والمصادر التي يُعتمد عليها في التحرير .

3- مذاكرة شرح مقدمة الإمام ابن جزي الكلبي رحمه الله .

والمقصود:

معرفة كيفية معالجة المتقدمين لمسائل علوم القرآن، وأصول التفسير .

المطالعة:

1- قراءة كتاب: أنواع التصانيف المتعلقة بالقرآن الكريم، للشيخ د. مساعد الطيار .

2- قراءة كتاب مواقع العلوم في مواقع النجوم، للإمام البلقيني .

4- قراءة مقال: فوائد وأفكار من شرح منظومة الزمزمي في علوم القرآن .

5- قراءة كتاب دراسات في علوم القرآن، للشيخ د. فهد الرومي .

والمقصود:

تثبيت المقاصد السابقة، وعرض الموازنات بين كتب المتقدمين من جهة، وكتب المتأخرين من جهة أخرى .

التطبيق:

1- قراءة فصول في أصول التفسير، مع الاستماع على شرح الشيخ عليه، وتكليف الطالب بعقد موازنة بينه وبين التحرير .

2- تكليف الطالب باستخراج علوم القرآن من تطبيقات المفسرين من خلال سورة .

المستوى الثالث: المرحلة المتوسطة

وتهدف هذه المرحلة إلى الآتي:

تعميق معرفة الطالب بالمسائل التي درسها في المرحلة الأولى مع ما يستجد عليه من مسائل .

ويتم عبر الآتي:

1- مذاكرة المحرر في علوم القرآن للشيخ د. مساعد الطيار .

والمقصود:

معرفة كيفية تحرير الأقوال في أصول التفسير، ولا بد من مساعدة الشيخ للطالب في وضع يده على نوع الأدلة والمصادر التي يُعتمد عليها في التحرير .

ولو كلف الطالب في هذه المرحلة بمطالعة بعض مصادر المسألة، وزيادة تحرير المسألة، ولم خيوطها = لكان حسنًا .

2- مذاكرة مقدمة شيخ الإسلام ابن تيمية مع شرحي الشيخ د. مساعد الطيار، والشيخ بازمول .

والمقصود:

ربط كلام المعاصرين بكلام المتقدمين في أصول التفسير، والاطلاع على مدونة أصلية في العلم .

المطالعة:

1- قراءة: علوم القرآن بين الإتقان والبرهان، للشيخ د. حازم حيدر سعيد .

2- قراءة مناهل العرفان للزرقاني مع تقويم الشيخ د. خالد السبت (قراءة سريعة) .

3- الاستماع لمحاضرات شرح مختصر الإتقان، للشيخ مصطفى البحياوي .

والمقصود:

اطلاع الدارس على معاقد الاتفاق والاختلاف بين أهم المصنفات في علوم القرآن، مع الاطلاع على مدونة معاصرة في علوم القرآن، ونقدها، مع ربط له بعالم من علماء القرآن تلقيًا وأخذًا .

التطبيق:

1- دراسة الإسرائيليات، وأثرها في التفسير .

(يقرأ الطالب بحث الشيخ د. مساعد)

2- دراسة الاختلاف في التفسير والإجماع، وأثره في التفسير .

(يقرأ بحث الشيخ د. محمد صالح، وبحث الشيخ د. محمد الخضيري)

3- دراسة موضوع الاستدراك في التفسير .

(يقرأ بحث الشيخ د. نايف الزهراني)

4- يكلف الطالب بتطبيق الموضوعات السابقة على بعض السور، مع الاستعانة بتفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار.

المرحلة الأخيرة

والهدف منها أن يقرأ الطالب ما يؤهله للخوض في الدراسات القرآنية بعامة، والذي أقترحه في هذه المرحلة كالآتي:

1- قراءة علوم القرآن عند الإمام الشاطبي، للشيخ مساعد الطيار، باعتناء الشيخ أحمد سالم.

2- قراءة رسالتي: قواعد الترجيح، للشيخ د. الحربي، وقواعد التفسير، للشيخ د. السبت .

3- إمتاع ذوي العرفان بما اشتملت عليه كتب شيخ الإسلام من علوم القرآن، وهو كتاب حسن جليل مهم مغفول عنه .

4- الميسر في علم الرسم للشيخ د. غانم قدوري الحمد .

5- الميسر في علم عد الآي، للشيخ د. أحمد خالد شكري .

6- مقدمات في علم القراءات، للشيخ القضاة وآخرين .

7- الدراسات الصوتية، للشيخ د. غانم قدوري .

8- المجلد الثالث عشر من مجموع الفتاوى .

9- المحرر في أسباب النزول، للشيخ د. خالد المزيني .

10- كتب الشيخ د. مساعد الطيار .

11- المسائل المشتركة، للشيخ د. فهد الوهبي .

12- الاستدلال على المعاني، للشيخ د. نايف الزهراني .

ويستمع للمحاضرات التالية:

أ- بداية المفسر (مجموعة محاضرين).

ب- تاريخ القرآن .

ج- تاريخ التفسير .

د- مناهج واتجاهات المفسرين، والتعريف بكتب التفسير، ثلاثتهم للشيخ د. مساعد الطيار .

13- قراءة كتب الشيخ د. فريد الأنصاري .

14- أسباب اختلاف المفسرين للشيخ د. الشايع.

15- التفسير والمفسرون للشيخ الذهبي رحمه الله .

16- دراسات مصطلحية، للدكتور الشاهد البوشيخي .

17- كتب الشيخ عبد الحميد الفراهي .

والمقصود:

تكميل حقول الدراسة لدى الطالب في المجالات القرآنية المختلفة .

فهرس أهم المراجع

1. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، للدكتور فهد بن عبدالرحمن الرومي، الطبعة الأولى، الرياض، 1406 .

2. الإتقان في علوم القرآن، للحافظ أبي الفضل جلال الدين السيوطي (ت: 911)، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، بمجمع الملك فهد.

3. اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق، د. محمد صالح محمد سليمان، رسالة جامعية، ط. دار ابن الجوزي، 1430.

4. إعراب القرآن، لأبي جعفر النَّحَّاس (ت: 338)، ت: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، 1421 .

5. الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط، أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي الشيباني، المعروف بابن القيسراني (ت: 507)، تحقيق دي يونج، ط. ليدن: بريل، 1282 هـ - 1865 .

6. إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، لابن الوزير، أبو عبد الله اليمني (ت: 840)، دار الكتب العلمية، ط. 1987 .

7. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي (ت: 745)، تحقيق صدقي محمد جميل، ط. دار الفكر، 1420 .

8. البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين الزركشي (ت: 794)، تحقيق د. زكي محمد أبو سريع، ط. دار الحضارة 2009.

9. التبيان في آداب حملة القرآن، لأبي زكريا محيي الدين النووي (ت: 676)، تحقيق: محمد الحجار، ط. دار ابن حزم 1414 هـ .

10. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393)، الدار التونسية للنشر – تونس 1984.

11. تداخل العلوم في التراث العربي الإسلامي: علم أصول الفقه وعلم التفسير، للدكتور محمد بنعمر، بحث منشور بملتقى أهل التفسير: ((http://vb.tafsir.net/tafsir36408/)).

12. تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تأليف ابن جماعة الكناني، حققه وعلق عليه محمد هاشم الندوي، الطبعة الثانية 1416هـ ، دار رمادي .

13. التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن جزي الكلبي الغرناطي (ت: 741)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط. شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت 1416 هـ .

14. تفسير الراغب الأصفهاني، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: 502)، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، د. عادل بن علي الشِّدِي، د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، نسخة المكتبة الشاملة .

15. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي مع دار هجر، ط. هجر .

16. تفسير القرآن العزيز، لأبي عبد الله الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: 399)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، ط. دار الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، 1423هـ – 2002م .

17. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم (ت: 327)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط. مكتبة نزار مصطفى الباز – 1419 هـ .

18. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: 774)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط. دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999 م.

19. التفسير اللغوي للشيخ د. مساعد الطيار (رسالة جامعية) من إصدارات دار ابن الجوزي.

20. تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: 150)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط. دار إحياء التراث - بيروت 1423 هـ .

21. التفسير والمفسرون، للدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت: 1398)، ط. مكتبة وهبة، القاهرة .

22. تكوين ملكة التفسير، د. الشريف حاتم العوني، ط. مركز نماء للبحوث 2013 .

23. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأبي الحجاج المزي (ت: 742)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط. مؤسسة الرسالة - بيروت، 1400 - 1980 .

24. التيسير في قواعد علم التفسير، للإمام محمد بن سليمان الكافيجي (ت: 879)، تحقيق: ناصر المطرودي، ط. دار القلم 1410 .

25. جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر الطبري (المتوفى: 310)، تحقيق: آل شاكر، ط. مؤسسة الرسالة.

26. جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، ت: أبي الأشبال الزهيري، ط. دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1994 م

27. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط. دار الكتب المصرية - القاهرة، 1384هـ - 1964 م .

28. الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911)، ط. دار الفكر – بيروت .

29. الزيادة والإحسان في علوم القرآن، تحقيق: جماعي (رسائل جامعية)، إصدار مركز البحوث والدراسات بجامعة الشارقة .

30. السبل المرضية لطلب العلوم الشرعية، تأليف: أحمد سالم، ط. دار الفاروق .

31. شرح مقدمة ابن تيمية، د. مساعد الطيار، ط. دار ابن الجوزي 1428 هـ .

32. شرح مقدمة ابن جزي، د. مساعد بن سليمان الطيار، ط. دار ابن الجوزين 1431 هـ .

33. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط. دار العلم للملايين – بيروت، 1407 هـ - 1987 م.

34. الطبري للمعنى من خلال تفسيره جامع البيان، للدكتور محمد المالكي، من منشورات وزارة الأوقاف المغربية.

35. علوم القرآن بين الإتقان والبرهان، الدكتور حازم سعيد حيدر، ط. دار الزمان – المدينة المنورة – 1427 .

36. فصول في أصول التفسير، د. مساعد الطيار، الإصدار الثاني، 1432 هـ .

37. قواعد الترجيح، د. حسين بن علي الحربي، (رسالة جامعية)، ط. دار القاسم، 1429 م .

38. قواعد التفسير، د. خالد بن عثمان السبت، (رسالة جامعية)، ط. دار ابن القيم، 2008 .

39. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري جار الله (ت: 538)، دار الكتاب العربي - بيروت 1407 هـ .

40. لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الإفريقي (ت: 711)، دار صادر - بيروت،1414 هـ .

41. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ/1995م .

42. المفسر شروطه وآدابه ومصادره (رسالة جامعية) لأحمد قشيري سهيل، ط. مكتبة الرشد، 2008 .

43. مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، د. مساعد الطيار، ط. دار ابن الجوزي .

44. مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة، الراغب الأصفهاني (ت: 502)، تحقيق: أحمد حسن فرحات، ط. دار الدعوة .

45. مقدمة في أصول التفسير، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. عدنان زرزور، ط. دار القرآن الكريم بالكويت .

46. ملتقى أهل التفسير: ((http://vb.tafsir.net/)).

47. ملتقى أهل الحديث: ((http://www.ahlalhdeeth.com/vb/index.php)).

48. منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية للدكتور حسن ملكاوي. منشوران المعهد العالمي للفكر الإسلامي: "2012".

49. نصائح منهجية لطالب علم السنة النبوية، د. الشريف حاتم العوني، ط. دار الصميعي .